الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الاستلزام الحواري في سيرة ابن هشام

- دراسة تداولية -

مذكرة مكملة ضمن متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطالبتين:

✓ سمية بالي

✓ هنية عطا الله

إشراف الدكتور:

العزوزي حرزولي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
علي حلواجي	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
العزوزي حرزولي	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
العربي الطريلي	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1438 – 1439هـ / 2017 – 2018م.

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ
عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

العلق: 1- 5

شكر وتقدير

نشكر الله العلي القدير صاحب الشأن العظيم
الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على إنجاز هذا البحث
ونتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور المشرف *العزوزي حرزولي*
لما منحه لنا من توجيهات ونصائح قيمة التي كانت لنا خير عون، وصبره
علينا طيلة هذه الفترة رغم انشغالاته العلمية لإتمام هذا البحث
كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، ونخص
بالذكر: الدكتورة الفاضلة عائشة عويسات التي مدت لنا يد العون
وفاضل الشكر والعرفان إلى الشموع المنيرة الأهل والأحبة لوقوفهم
معنا وتشجيعهم لنا للمضي في نهاية هذا العمل.
وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

سمية و هنية

الملخص:

تمثل نظرية الاستلزام الحواري أحد أبرز المفاهيم الذي ظهر وازدهر في الدرس اللساني الغربي الحديث، فهو يقوم على مبدأ عام وهو مبدأ التعاون الذي وضعه غرايس.

ومضمون هذه النظرية يرتبط بمعنى متضمن يرمي إليه المتكلم أثناء حواره مع المتلقي، فالمعاني قد تدل على معنى غير محتواها القضوي أي ليست دائما صريحة ومباشرة، بل هناك موافق تستوجب عدم التصريح بالكلام المباشر أي معاني مستلزمة كالتلميح والكناية والمجاز...

كما نجد ملامح الاستلزام الحواري في التراث اللغوي العربي القديم وما لاحظناه عند النحويين والبلاغيين والأصوليين في دراستهم للمعنى

وتضمنت السيرة النبوية لابن هشام أبعادا تداولية متفرعة لكثرة تنوع الحوارات فيها التي اشتملت على معاني صريحة وأخرى مستلزمة ستنتج من خلال السياق.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الاستلزام، الحوار، الخطاب، السياق، السيرة، ابن هشام.

Résumé:

Représente la théorie Alastelzam talk-show l'un des principaux concepts qui ont émergé et prospéré dans la leçon linguale occidentale moderne, elle est basée sur le principe général qui est le principe de la coopération développée par la grâce.

Le contenu de cette théorie est liée au sens inclus dans le but de l'orateur au cours du dialogue avec le bénéficiaire, Valmani peut indiquer le sens de Alqazavi non contenu qui est pas toujours explicite et simple, mais il y a OK besoin de ne pas autoriser les significations directes des mots et Mstelzmh soupçon métonymie et métaphore...

On retrouve également les fonctionnalités talk-show de Alastelzam dans l'ancien patrimoine linguistique arabe et ce que nous avons remarqué quand grammairiens et les fondamentalistes Albulageyen dans leur étude du sens de Il comprend une actualité des dimensions Prophète Ibn Hisham du grand nombre de dialogues délibératifs ramifiés dans lesquels la diversité des significations qui comprenait explicites et d'autres Mstelzmh produira à travers le contexte.

Mots-clés: délibération, invocation, dialogue, discours, contexte, biographie, Ibn Hisham.

مقدمة

كانت اللغة وما تزال موضع اهتمام الباحثين والدارسين، كونها الطريقة المثلى والأكثر إفصاحا والأرقى درجة في الخطاب، فهي وسيلة التي يتم بها تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، وتبين تفاعله مع غيره مما يساعده على التعبير والتأثير والتأثر، فتنوعت مناهج دراستها وإجراءات تحليلها المختلفة.

وتمثل اللسانيات اليوم حقلا واسعا من حقول المعرفة الأساسية مما أسهم في ظهور مجالات معرفية جديدة، ومن هذه المجالات المعرفية هي: اللسانيات الوظيفة، ولسانيات النص، واللسانيات التداولية، وتعد هذه الأخيرة أهم اتجاه لغوي تطور وازدهر في الثقافة اللغوية الغربية، بهدف دراسة المعنى وضبطه في سياقه الاستعمالي.

فالتداولية علم تواصلي جديد، يعالج كثيراً من ظواهر اللغة وتفسيرها في مجال الاستعمال ومما ساعدها على ذلك بأنها تستمد معارفها من جوانب مختلفة كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة وغيرها من المجالات الأخرى، فجاءت اللسانيات التداولية لتعالج اللغة أثناء الاستعمال في المقامات المختلفة ومراعاة أحوال المتخاطبين وأغراض المتكلمين، وكما تهتم التداولية أيضا بأطراف وأقطاب العملية التواصلية بالمتكلم ومقاصده أثناء إصداره لملفوظاته، واهتمامها بالمتلقي كمساعد، وتفسير وتأويل تلك الملفوظات، ومن جهة أخرى تهتم بالظروف المحيطة بالعملية التواصلية وذلك بتفعيل دور اللغة في التواصل أثناء الخطاب.

وتشكّل اللسانيات التداولية مبحثاً غنيّا بالنظريات التي تهتم بالخطاب ومنها: نظرية أفعال الكلام، ومتضمنات القول، والإشاريات، وأهم ما يهمنا في هذا البحث نظرية الاستلزام الحواري الذي يعد من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية ويرجع الفضل في وضع هذا المفهوم إلى الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس".

فنظرية الاستلزام الحواري عبارة عن ظاهرة تميز اللغات الطبيعية أثناء عملية التخاطب؛ لأنها تحمل معاني غير معناها الحرفي أي معاني مستلزمة أو ما يطلق عليها معاني ظاهرية وأخرى باطنية يحددها السياق التي وردت فيه، وقد وضّح بول غرايسPaul Grice أن الحوار يقوم على مبدأ هام ألا وهو

مبدأ التعاون الذي يعد أساس هذه النظرية إذ يلجأ إليه المتحاورون في خطاباتهم، فقد تخرج العبارة اللغوية عن معناها الحرفي إلى معنى آخر ضمني ويتم ذلك بخرق إحدى القواعد التي تندرج ضمن مبدأ التعاون، فكان البحث بعنوان: "الاستلزام الحواري في سيرة ابن هشام" دراسة تداولية، فاخترنا مجموعة من الخطابات حاولنا تطبيقها على مبادئ المحادثة للحوار، ولعل أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هي:

- الوعي بثراء الموروث العربي القديم وإمكانية معالجته بمنهج حديث.
- الاستفادة من الدراسة التطبيقية حول نظرية الاستلزام الحواري وتوظيفها في نص متميز في تراثنا إلى جانب أسبقيته وقربه من عصر الاحتجاج.
- استخراج مبادئ المحادثة وإمكانية تطبيقها على هذه الظاهرة.

وأما سبب اختيار هذه المدونة كونها قائمة على الحوار وثراء نص ابن هشام بالخطابات.

وقد كان الإشكال الرئيس: **هل يمكن الخروج بنتائج علمية من خلال تطبيق المنهج التداولي بآلية الاستلزام الحواري في سيرة ابن هشام؟**

ولتوضيح هذه الإشكالية يمكن الاستعانة بالأسئلة الفرعية التالية:

ما هو الاستلزام الحواري؟ وكيف كان التعامل الموروث العربي القديم به، وهل ظهر عندهم كمصطلح واضح المبادئ؟ وهل يمكن تطبيق هذه الظاهرة في سيرة ابن هشام؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات تمت هيكلة البحث إلى مدخل وفصلين بخاتمة.

فتناول المدخل مفهوم التداولية ونشأتها، وقضاياها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، أما الفصل الأول فكان بعنوان " الاستلزام الحواري في الثقافتين العربية والغربية" وعالج هذا الفصل مفهوم الاستلزام عند العرب والغرب، وعالج أيضا أنواع الاستلزام الحواري والمبادئ والخصائص، وأما الفصل الثاني فجاء بعنوان "الاستلزام الحواري في سيرة ابن هشام" يحتوي على الجانب التطبيقي للاستلزام الحواري من خلال هذه السيرة. وختمنا البحث بخاتمة تعتبر حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

وقد سار هذا الموضوع على منهج وصفي تداولي بما يخدم البحث، فالمنهج الوصفي يتمثل في محاولة استقراء التراث العربي القديم والدرس الغربي الحديث، أما التداولي فهو القائم على معرفة القواعد الحاكمة للخطاب باعتباره خطاباً تواصلياً.

وقد استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع ولعل من أهمها:

كتاب اللسان والميزان لطه عبد الرحمان، واللسانيات التداولية مع محاولة التأصلية في الدرس العربي القديم لخليفة بوجادي، والتداولية عند علماء العرب لمسعود صحراوي، استراتجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري.

ومن العوائق التي اعترتنا وجود بعض الصعوبة في التطبيق إلا أننا حاولنا جاهدين أن نسير في سبيل إنجاز هذا البحث. ومن الصعوبة أيضا اختيار المراجع التي تجعلنا نبحث منها ما يناسب الموضوع.

وفي الأخير نتوجه بخالص الشكر والعرفان والثناء إلى الدكتور"العزوزي حرزولي" على توجيهاته وإرشاداته وتقويماته لهذا البحث فله منا كل التقدير والاحترام.

كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة وختاما نحمد الله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ونرجوا أن يكون هذا البحث قد وفق في مبتغاه، ونسأل الله عز وجل التوفيق والسداد في القول والعمل.

مدخل

1- المعنى اللغوي للتداولية:

تتبع جذر "دول" في مصادر الاحتجاج عند العرب:

أ- جذر التداولية في القرآن الكريم:

لقد وردت التداولية بمعناها اللغوي في بعض الآيات الكريمة، والشاهد على ذلك قوله تعالى:

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [1].

يعني بقوله: ﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ نجعلها دولا بين الناس مصرفة ويعني ب «الناس» المسلمين والمشركين، وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأدال المشركين من المسلمين بأحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم.[2]

وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.[3]

يعني بقوله ﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ فإنه يعني :وتخاصِموا بها يعني: بأموالكم إلى الحكام ﴿ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا ﴾ طائفة من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون.

ويعني بقوله ﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾ بالحرام الذي قد حرمه الله عليكم، ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي :وأنتم تتعمدون أكل ذلك بالإثم، على قصد منكم إلى ما حرم الله عليكم منه، ومعرفة بأن فعلكم ذلك معصية لله وإثم.

---

[1] سورة آل عمران، الآية140.

[2] تفسير الطبري، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ج2، ص334.

[3] سورة البقرة، الآية188.

وأصل «الإدلاء» إرسال الرجل الدلو في سبب متعلقا به في البئر، فقيل للمحتج لدعواه «أدلى بحجة كيت وكيت» إذا كانت حجته التي يحتج بها سببا له، موجه متعلق في خصومته كتعلق المستقي من بئر بدلو قد أرسلها فيها بسببها الذي الدلو به متعلقة، يقال فيهما جميعا، أعني من الاحتجاج ومن إرسال الدلو في البئر سبب«أدلى فلان حجته يدلي بها إدلاء وأدلى دلوه في البئر فهو يدليها إدلاء».[1]

وقال عز وجل :﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [2]

ويعني بقوله: ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه وجعلنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى هذه الأصناف كيلا يكون ذلك الفيءُ دولةً يتداوله الأغنياء منكم بينهم يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر وسُبُل الخير فيجعلون ذلك حيث شاؤوا ولكننا سنتا فيه سنة لا تُغَير ولا تُبَدّلُ.[3]

التداولية في المعاجم العربية:

يرجع المصطلح في أصل اشتقاقه إلى مادة (دَوَلَ): الدال و الواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء[4].

وجاء في لسان العرب لابن منظور(711هـ) مادة (دول): الدَّولةُ والدُّولةُ: العُقْبَة في المال والحرب سواء، وقيل: الدُّولة، بالضم، في المال، والدَّولةُ، بالفتح، في الحرب... ويقول الجوهري: الدَّولة، بالفتح أَن تُدَاول إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدَّولة، والجمع الدُّوَلُ ؟ والدُّولة، بالضم، في المال؛

[1] تفسير الطبري، ج1، ص513.

[2] سورة الحشر، الآية 7.

[3] تفسير الطبري، ج7،ص 258.

[4] ابن فارس، أبي الحسين أحمد فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1979، ج2، ص 314 .

يقال: صار الفيء دُولة بينهم يَتَدَاولونه مرّة لهذا ومرَّة لهذا.

وقال سيبويه(180هـ): وإن شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال. ودالت الأيام أي دارت، واللّهُ يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي: أَخذته هذه المرة وهذه مرّة [1].

وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي (817هـ) أن لفظ: تداولوه: أخذوه بالدُّوَلِ. ودَوَالَيكَ، أي مَدَاوَلة على الأمر أو تَدَاوُل بعد تَدَاوُلٍ [2].

فمن الملاحظ أن المعاجم العربية لا تخرج عن الجذر الأصلي "دول" الذي من معانيه التحول والتداول والتبادل سواء من حال المتكلم إلى حال السامع وتبادل الأدوار بينهما لتحقيق التواصل اللغوي، أو من مكان إلى مكان آخر.

ب- التداولية في المعنى الأجنبي :

إن مصطلح التداولية في أصله الأجنبي "Paragmatique" يعود إلى الكلمة اللاتينية "Pragmaticus" المبنية على الجذر Pragma، ويعني العمل أو الفعل Action وتقلّب المصطلح على مدلولات عدة، لينتقل استعماله إلى الميدان العلمي بداية من القرن 17 م، وصارت تدل على كل ما له علاقة بالفعل أو التحقق العملي، وبعبارة أخرى يدل على كل ماله تطبيقات ذات ثمار عملية[3]، وهي ترى أن المنفعة العملية للمعارف مصدر لها، ومعيار رئيسي لصحتها [4].

2- المعنى الاصطلاحي للتداولية :

التداولية عند العرب : لقد أسهمت جهود العرب في مفهوم المجال التداولي الذي جعل الباحث المغربي "طه عبد الرحمان"*يستحدث مفهوماً للتداولية في ترجمته لمصطلح Pragmatique[5]

---

[1] ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، ج11، ص 252.

[2] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005، ص1000.

[3] باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص 15 .

[4] أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط1، 2015، ص 8 .

* طه عبد الرحمان: ولد 1944م بالجديدة فيلسوف مغربي، متخصص في المنطق وفلسفة اللغة، ويعد أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي ومن أهم أعماله اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.

[5] باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص13.

بالتداوليات، ويقول في هذا الصدد: وقد وقع اختيارنا منذ (1970م) على مصطلح «التداوليات» مقابل المصطلح الغربي «براغماتيقا» لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي «الاستعمال» و«التفاعل » معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم.[1]

كما أننا وضعنا مصطلح «المجال التداولي» الذي يتردد في النص والذي أخذ، هو الآخر، يشق طريقه إلى كتابات الباحثين، وقصدنا به «كل المقتضيات العقدية والمعرفية واللغوية – القريب والبعيد– المشتركة بين المتكلم والمخاطب والمقومة لاستعمال المتكلم لقول من الأقوال بوجه من الوجوه »[2] وعرف مسعود صحراوي التداولية بأنها: علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال[3]. وعرفها أيضا: إنّها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظيّة، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية.[4]

فمن الملاحظ أن التداولية عند علماء العرب المحدثين تعني دراسة اللغة أثناء الاستعمال في السياقات والمقامات المختلفة بحسب أغراض المتكلمين وأحوال المتخاطبين للتواصل والتفاعل لكي يتم الفهم والإفهام.

التداولية عند الغربيين: اجتهد بعض العلماء في مفهوم البراجماتية اللسانية «التداولية » وتحديد موضوعها، وقد رأى "جرين" (Green) 1989 و "بليكومور" (Blikmore) 1990م أنها تهتم بدراسة اللغة الطبيعية أو بلغة الخطاب اليومي المباشر، ورأى "أ.م.د يلر " و"ف.ريكاناتي " أنها تدرس استعمال اللغة في الخطاب والكشف عن المقدرة الخطابية، وتدرس معاني القول في المقامات التخاطبية، فهي تهتم باللغة في سياق الخطاب، وتدرس السيمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي ووظيفة البراجماتية استخدام اللغة في الخطاب والسيمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000، ص28.

[2] المرجع نفسه، ص28.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص16.

[4] حافظ إسماعيلي علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، كنوز المعرفة، عمان، د.ط، 2013، ص 161.

في صلب اللغة، ورأى " فرنسواز ريكانتي " أن البراجماتية فرع من استعمال اللغة في الخطاب، ويعدها " فان جاك " تخصصا يتناول اللغة على أنها ظاهرة خطابية وتبليغية واجتماعية.[1]

اقترح ش.موريس منذ سنة 1938م تعريفا للتداولية على أنها "ذلك الفرع من السيميائيات الذي يدرس العلاقة القائمة بين العلامات ومستعمليها"[2]، أي أن العلامات ترتبط بمؤوليها.

ويرى أيضا جورج يول George Yule: أنها مستساغة قد تنقلب لتكون ميدانا دراسيا محيطا لأنها تتطلب منا فهم الناس وما في عقولهم[3].

يتضح من قول جورج يول "أنّ التداولية ما هي إلا الطريقة التي تمكن الأشخاص من فهم بعضهم بعضا في حدود التواصل إلى ما في الأذهان".

التداولية Pragmatics هي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية.

دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية.مثلا كلمة "شكرا" في لسان العرب لابن منظور "الشكر " :عرفان الإحسان ونشره، وهو الشُكُورُ أيضا.

قال ثعلب(291هـ): الشُّكْرُ لا يكون إلا عن يَدٍ، والحمدُ يكون عن يَدٍ وعن غير يَدٍ فهذا الفرق بينهما.

والشكر من اللّه : المجازاة والثناء الجميل، شكرهُ وشَكَرَ له يَشكرُ شكرًا وشكورا وشُكْرانا.

وفي استعمالاتنا اليومية، تتجاوز، الكلمة مجردة العرفان بالإحسان ونشره، وتنشأ عنها معان جديدة، ودلالات تتجاوز حدودها المعجمية الضيقة مهما اتسعت، فربما أوحت بالرفض، أو التهكم، أو الضيق.[4]

---

[1] محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ "، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ص 19،20.

[2] فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش ،مركز الإنماء القومي، المغرب، دط، 1986، ص8.

[3] جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار العربية، بيروت، ط1، 2001، ص 21.

[4] ينظر: بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص 18.

3- نشأة التداولية وتطورها:

أ- عند العـرب: لم يكن العرب تابعين للغرب في مجال الدراسة التداولية، وإنما كان لهم السبق في هذا المجال؛فقد أخذوا يحللون الأساليب اللغوية، وتوصلوا إلى النظرية المقاماتية أو المقام ؛لأن الكلام يختلف من شخص لآخر، بل يختلف من نفس الشخص إذا تغير حاله وحال من يتلقي منه الكلام.

لقد استخدم اللغويون العرب مصطلحي الحال ومقتضى الحال، وعرفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[1]، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال".[2]

إن الدراسات بهذا الشكل ترجع إلى الدراسات التنظيرية الأولى عند الجاحظ(255هـ)، وأبي الهلال العسكري (395هـ)، وابن قتيبة(276هـ)، وحازم القرطاجني (684هـ) وغيرهم، وهي برغم ذلك مرتبطة بالأثر والمقام، ويذكر الدكتور عبد الفتاح البركاوي أن مالينوفسكي لم يكن يعلم وهو يصوغ مصطلحه الشهير أنه مسبوق إلى هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها [3].

يقول أبو الهلال العسكري "وإن كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب تقسيم طبقات الكلام على طبقات الناس، فخاطب السوقي بكلام السوقية، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتنعدم منفعة الخطاب"[4]. فربط إفادة الخطاب وتأديته منفعة بتحديد الغاية من الفكرة والسياق الذي وردت فيه، وبيان حال المتكلم والسامع معا، ثم مراعاة الحالة الاجتماعية للمتلقين من حيث الألفاظ فلا تستخدم عبارات غير مفهومة فتنعدم فائدة الحوار كما أنه جعل من المتلقي شريكا في العملية التواصلية إيقانا منه بخطره في نجاحها وذلك بالنظر إلى حالاته الإدراكية المختلفة باختلاف طبقته الاجتماعية.[5]

---

[1] ينظر: محمد محمود السيد أبو حسين ،الدرس التداولي في علم اللغة الحديث ،دار الفكر العربي، القاهرة،ط1، 2010، ص9.

[2] الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424، ج1، ص132.

[3] ينظر: محمد محمود السيد أبو حسين ، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، ص9.

[4] أبو الهلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة العصرية، بيروت، دط، 1419، ص 29.

[5] دلال وشن، مجلة مقاليد الملامح التداولية في الموروث العربي دراسة في عينات تراثية، المركز الجامعي لميلة (الجزائر)، ع7، ديسمبر2012، ص 15.

كما نجد السكاكي (626هـ) يلفت الانتباه إلى عناصر المقام المختلفة فيقول:"... لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهيئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم... ومقام الجد يغاير مقام الهزل...، ومقام البناء على مقام السؤال يغاير مقام البناء علي الإنكار..."[1]

فهذا النص يؤكد إدراكه التام للقرائن المختلفة التي تحدد قصد المتكلم من كلامه، كمراعاة حال المتكلم والمخاطب وسياق الكلام والنبر والتنغيم ومعدّل الأداء الكلامي والتعبيرات والحركات الجسمية، وهذه المصاحبات اللغوية أو الملامح شبه اللغوية المصاحبة لنطق المتكلم هي من صميم بحث التداولية مادامت تدرس اللغة أثناء الاستعمال وتبرز جهود عبد القاهر الجرجاني (471هـ) مما بلوره في نظرية النظم في بعض جوانبها، بوصف النظم دليلا على الكفاءة الذهنية التي يعتمد عليها المرسل في إنجاز الخطاب، بناء على المواءمة بين الكفاءة اللغوية الكامنة في الذهن وعناصر السياق الخارجي، وقد مثل للنظم في مستوى التراكيب بوصفه أبرز مستوى تتجلى فيه تلك الكفاءة.[2]

وابن قتيبه يرجع إليه السبق أيضا في قضية التواصل الأدبي في كتابه الشعر والشعراء المخاطَب من خلال حديثه عن تهيئة المخاطب نفسيا؛ ليتقبل ما يقصده الخطاب والانفعال به انفعالا ظاهرا. ولا ننسى دور الإسلام الواضح في هذا المجال؛ فقد كان للدين الإسلامي الفضل الكبير في ريادة العرب؛ فالدين الإسلامي دين يحث على العلاقات الاجتماعية بين المسلمين، ورسالته معجزة في حد ذاتها.

كما نجد أول المؤسسين العرب للدرس التداولي في العصر الحديث هو الدكتور طه عبد الرحمن؛ وذلك بوضعه مصطلح التداولية مقابل المصطلح الأجنبي Pragmatics، وذلك عام 1970.

ومن أبرز كتبه التي تمتلئ بالفكر التداولي ما يأتي : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام واللسان والميزان أو التكوثر العقلي.[3]

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص 168.

[2] ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004، ص7.

[3] محمد محمود السيد أبو الحسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، ص 10، 11.

ومما سبق يتضح أن للعرب الأسبقية في تناولهم للدراسة التداولية وخاصة من خلال أعمالهم المتمثلة في البلاغة عند حديثهم عن المقام الذي تقوم عليه التداولية، فهو نقطة اشتراك بين البلاغة والتداولية لأنهما علمان متداخلان في ظواهر معينة للغة.

ب- عنـــد الغـــرب: استخدمت لفظة البراغتماتية لدى فلاسفة اليونان، فقد اشتقت من الكلمة اليونانية :"براغما أو براجما Pragma"، وقد ظهر استخدامها لدى العديد من فلاسفة اليونان من أمثال "أفلاطون أرسطو وأغسطين، ودانز سكوت وكوبر نيكوس، وجاليليو، و كانط" الذين تصوروا البراجماتية بصورة نشاط أو فعل أو عمل يعتمد على التجربة والممارسة العملية للوصول إلى النتائج.[1]

ومنهم من يُرجع تأسيسها إلى الفلسفة التحليلية للفيلسوف غوتلوب فريجة وفيتغنشتاين، ويعد هذا الأخير من الفلاسفة الذين نظروا للجانب الاستعمالي للّغة، من خلال تحليله لألعاب اللغة، بدءا من أعماله الأولى في المنطق والفلسفة والمنتهية في (1918)؛ حيث ميّزها دراسة الوظيفة التمثلية للغة، اعتدادا بمدى صحة الملفوظات أو خطئها.أمّا فيما بعد فاهتمّ أكثر بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر، وأنّهما غير منفصلين، كما أنّه لا وجود للغة خاصّة بالفرد. وإنّما كلّ ما في الأمر، أن الفرد يتّبع في تراكيبه لغة عموم مجتمعه. وانتهى بذلك إلى استبدال معنى التّواصلية في اللغة، بالتعبيرية بهذا المفهوم ليست وسيلة للفهم أو تمثيلا للعالم، بقدر ما هي وسيلة تأثير في الآخرين، لارتباطها بالمواقف المحسوسة في التواصل.[2]

وعرض في ذلك فكرة (ألعاب اللّغة)، «وهو تعبير في معناه الأوّلي يوضّح كم هو مهّم أن تأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلّق أمر بفهم دلالة التعبير أو شرحه»، من خلال كتابه (بحث في الفلسفة والمنطق 1921م)؛ الذي كشف فيه مفهوم التّلاعب بالكلام، وأصبح فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية؛ ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات؛ فهو قائم إذاً على ممارسة التأويل من خلال الأداء الفعلي للغة.[3]

---

[1] أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص5.

[2] ينظر: خليفة بوجادي، التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص 52،51.

[3] المرجع نفسه، ص52،51.

وخلاصة المفهوم (التلاعب بالكلام) أو (ألعاب اللغة) أن الأفعال التي نتلفظها، ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نحياها أي أنه يحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عبارتهم، وينتج عن «اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب، كونه مجموعة منظمة من وجهة النظر والممارسات والمصالح».[1]

أما شارل ساندريس بيرس(1834-1914م) فقد اهتم بتداولية سيميائية قائمة على نظام العلامات. وتبرز جهود موريس ضمن البحوث الفلسفية التي درست الدليل وتصوراته الواسعة، كما العلامات[2]، وهو من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامات انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية، ويعدّها أساس النشاط السيميائي...ومن أهم ما أسهم به في نشأة الدرس التداولي:

التمييز كل من العلامة، الرمز، الإشارة والأيقونة.

وفي هذا الشأن قدم شروحا وافيّة في مفهوم الدليل؛ حيث يقوم على مبدأ التأويل، ويتنوع بحسب علاقته بموضوعه، والأيقونة تطابق صوريا، والأمارة (المؤشر) تقوم على علاقة العلة بالمعلول.

وتبرز جهود موريس ضمن البحوث الفلسفية التي درست الدليل وتصوراته الواسعة، كما أنها امتداد لبحوث علم النفس السلوكي المهيمنة على اللغة في فترة سابقة. إضافة إلى أنّه أسهم في تأسيس الدرس السيميائي إلى جانب بيرس... وقد جعل التداولية جزءًا من السيميائية؛ تعالج العلاقة بين العلامات ومستخدميها. وهو مفهوم يجعل العلامة تتجاوز مجالها اللساني إلى المجال السيميائي، ومجالها الإنساني إلى مجالات أخرى: المجال الحيواني والآلي والطبيعي.

لذلك رسم علاقة العلامة بأبعادها الثلاثة؛ علاقتها بالموضوعات الدالة عليها (بعد دلالي)، وعلاقتها فيما بينها (بعد تركيبي)، وعلاقتها بالمؤولين لها (بعد تداولي). ولا يلغي أيًّا من هذه الأبعاد حين دراسته للغة والعلامة اللغوية. وخلص إلى تعريف تداولي للغة، بأنها نشاط تواصلي أساسا ذا طبيعة اجتماعية.[3]

---

[1] ينظر: خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 52،51.

[2] جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015، ص 11.

[3] خليفة بوجادي، التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، ص55، 57.

ونجد من قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم أوستين Austin .J.L، وسيرل J.R.Searle وجرايس.H.P (مع أن سيرل وجرايس أتما تعليمهما في كاليفورنيا). وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية في المقابل المدرسة اللغة الشكلية أو الصورية التي يمثلها كارناب Carnap، وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها، وكان هذا من صميم عملهم، وهو من صميم التداولية أيضا.[1]

ومما أسهم به أوستين من خلال نظرية أفعال الكلام التي أصبحت في مجال البحث التداولي، وتتميز هذه بجدة مصطلحاتها وطريقة معالجتها للغة، فقد قسم الملفوظات إلى قسمين :تقريرية و إنجازية.

1- الملفوظات التقريرية: والتي تنحصر وظيفتها في وصف الحوادث وحالات الأشياء، وهي تخضع في الحكم عليها إما للصدق أو الكذب، فحين نقول مثلا: الجو جميل.

إنما تكون بصدد تمثيل ونقل الواقع كما هو، فإذا كان الجو جميل فعلا، فإن قولنا يكون صادقاً، أما إذا كان الجو عكس ذلك فإن قولنا سيكون كاذبا.

2- الملفوظات الإنجازية: وهي ملفوظات لا تدل على الصدق أو الكذب إنما من خلالها ننجز شيئا ما، قد يكون وعدا أو أمرا أو تهديدا، كما في الأمثلة الآتية :

آمرك بإغلاق الباب.

أعدك بأنني سأزورك غدا.

واصطلح أوستين على تسميتها بالإنجازات، فحين نقول بأن التلفظ الإنجازي هو إنجاز للفعل المذكور في الملفوظ، فذلك يعني أن هذا الفعل هو وظيفة هذا التلفظ وليس نتيجة من نتائجه فقط.[2]

إذن يتبين بأن الملفوظات التقريرية (الوصفية) عبارة عن وصف للعالم الخارجي بالصدق أو الكذب، وأما الملفوظات الإنجازية (الأدائية) فهي التي ننجز بها شيئاً معيناً.

وميز أيضا بين ثلاثة أنواع من الأفعال المرتبطة بالملفوظات وإنجازها:

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002، ص 9،10.

[2] على آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، ط1، 2000، ص 63، 68.

فعل التلفظ:وهو مجرد التلفظ بأصوات نطقية.

فعل الخطاب: وهو قول شيء معين، أي كلام قد يفيد تقريرا أو وعدا أو استفهاما.

فعل التأثير بالخطاب: وهو الفعل الحاصل نتيجة لما نقول لأنه غالبا ما يكون للتلفظ بكلام تأثير معين على سلوك الآخرين مثل: إقناعهم أو امتناعهم، أو إغضابهم[1].

لم يستطع أوستين أن يحقق ما سعى إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، فلم يكن ما قدمه من تصور كافيا ولا قائما على أسس منهجية واضحة ومحددة؛ فقد خلط بين مفهوم الفعل قسما من أقسام الكلام والفعل حدثا اتصاليًّا، ولم يقم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها ودخل في بعض الفئات ما ليس منها لكنه برغم ذلك وضع بعض المفهومات المركزية في النظرية، ومن أهمها تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولى منها، فضلا عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعدُ مفهوما محوريا في هذه النظرية.[2]

ويحتل الفيلسوف الأمريكي جون سيرل John Searle موقع الصدارة في مجال التداولية، فلقد أعاد تناول نظريّة أوستين وطوّر فيها،[3] فالتطور الأساسي للنظرية لتتحقق على يده فيما يعرف بالمرحلة الأساسية الثانية للنظرية، فقد ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية، قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية، وأن هذه القواعد يمكن أن تتحدد على أسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة، والرجل على كل حال لم يبدأ من فراغ، بل بنى على ما ابتدأه أوستين وأخذ يحكمه شيئا فشيئا حتى أصبح خلقا سويا.[4]

يتضح مما سبق بأن أوستين هو واضع الأسس والقواعد المنهجية لنظرية الأفعال الكلامية إلا أن هذه النظرية اكتملت على يد تلميذه سيرل.

---

[1] على آيت أوشان، المرجع السابق، ص 68.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص70.

[3] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص33.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71.

ومن أهم ما قام به سيرل فما يأتي :

قام بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية فجعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين :

أحدهما: الفعل النطقي Utterence act: وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

والثانـــي: الفعل القضوي Propositional act: وهو يشمل المتحدث عنه أو المـرجع reference، والمتحدث به أو الخبر Predication ولإيضاح ذلك نذكر الجمل الآتية :

1- يقرأ زيد الكتاب. 2- أيقرأ زيد الكتاب؟

3- يا زيد اقرأ الكتاب. 4- لو يقرأ زيد الكتاب.

عند النطق بأي من هذه الجمل ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد:

1- الفعل النطقي: ويتمثل في نطقك الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

2- الفعل القضوي: ويتمثل في المرجع هو محور الحديث فيها جميعا، هو زيد في الجمل الأربع، والخبر هو فيها جميعا قراءة الكتاب، والمرجع والخبر يمثلان معا قضيةProposition هي: قراءة زيد الكتاب، والقضية هي المحتوى المشترك common content بينها جميعا.

3- الفعل الإنجازي: وهو الاخبار في الأولى، والاستفهام في الثانية، والأمر في الثالثة، والتمني في الرابعة.وينبغي أن نشير إلى أن الفعل التأثيري ليس له أهمية كبيرة عند سيرل، لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما[1].

4- جهـاز مفاهيـمي للتـداولية:

1. الأفعال الكلامية :

ارتبط هذا المفهوم باسم" جون لانجشو أوستين" (J.L.AUSTIN).وما يعنيه مفهوم الأفعال الكلامية هو: " فاعلية أو إنجازية Performative" بعض الأفعال في اللغة المستعملة، أو أقل ما يستعمله اللسان ويسّخره في التخاطب بهذه الأفعال، ويضرب" أوستين" للأفعال الإنجازية مثلا بعبارة

[1] محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص72، 73.

قول شخص تعرض لحادث خطير مثلا، فاندقت ساقه فعالجه الطبيب المتخصص في جراحة العظام حتى شُفِي وأمسى يمشي بصورة عادية... فلما رأى طبيبه خاطبه :أرأيت إني أمشي.أوستين يرى أن الملفظ لا يكون له معنى مفهوماً إلا إذا اتخذ معنى "أراني أمشي" في الوقت ذاته.

وبهذا أصبح «مفهوم الفعل الكلامي "Speehait" نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوصل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية؛ الطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ وغايات، تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم يطمح أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثم إنجاز شيء ما.[1]

وقد فرق أستين بين ثلاثة أفعال كلامية هي:

فعل القول: Locutionary act ويراد به التلفظ بقول ما استنادا إلى جملة من القواعد الصوتية والتركيبة التي تضبط استعمال اللغة.

فعل الإنجاز: Illocutionary act ويراد به القصد الذي يرمي إليه المتكلم من فعل القول، كالوعد والأمر والاستفهام والتحذير...وقد اقترح أوستين نمذجة Typology لهذه الأفعال مميزاً بين خمس طبقات Classes:

- طبقة الأفعال الحكمية Verdictives verbsوتشمل أفعالا تعكس قدرة المتكلم على إصدار الأحكام حسب موقعه الاجتماعي ووضعه الاعتباري كأن يكون قاضيا أو حاكما ومن ذلك مثلا: اعترض - علن - صرح...

- طبقة الأفعال التنفيذية Exercitives verbs وتشمل أفعالا تفصح عن قدرة المتكلم عن اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر، والتأثير على الآخرين مثل: وافق - حذر - نصح - سمح.

- طبقة الأفعال التعهدية Commissive verbs وتشمل أفعالا يتعهد فيها المتكلم بفعل ما، مثل: التزم، تعهد، وعد، وافق....

[1] عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص101،102.

– طبقة الأفعال السلوكية Behabitives verbs وتشمل أفعالاً دالة على سلوك اجتماعي وتصرفات مثلا:تعاطف، رحب، شكر...

– طبقة الأفعال العرضية Expositives verbs وتشمل أفعالا يعرض فيها المتكلم وجهة نظر ويقدم حجة مثل: استشهد – مثل – افترض...

– فعل التأثير :Perlocutionary act ويراد به التأثير الذي يحدثه فعل الإنجاز في المخاطب، فيدفعه إلى التصرف بهذه الطريقة أوتلك.[1]

2 . نظرية الملاءمة Thèorie de la Pertinence :

"تعد نظرية الملاءمة " نظرية تداولية معرفية، أرسى معالمها كل من اللساني البريطاني دريردر ولسن D.wilson والفرنسي دان سبربر D.sperber وتأتي أهمية التداولية من أمرين:

أنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية، أي تدرس كيف يقوم الناس بالتفكير، والإدراك والتحدث وحل المشكلات.

أنها، ولأول مرة منذ ظهور الأفكار والمفاهيم التداولية، تبين بدقة موقعها من اللسانيات وخصوصا موقعها من علم التراكيب.

فنظرية الملاءمة تدمج، إذن بين نزعتين كانتا متناقضين؛ فهي نظرية تفسر الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وتعد في نفس الوقت نظرية إدراكية[2].

3 . القصدية Intentionnalitè :

يعرف ابن خلدون اللغة على أنها «في المتعارف عبارة المتكلم عن مقصوده» فكل متكلم إلا وله قصد معين وغاية يسعي إلى بلوغها سواء كانت إخبارا، تأثيرا، تغيير سلوك، أمرا أم مجاملة...إلخ.

وعليه فمعيار القصدية «يتضمن موقف منشيء النص من كون صورة من صور اللغة قُصد بها أن تكون نصا (متسقا ومنسجما) يكون وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها»[3]

---

[1] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص 89،90.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص36.

[3] فوزية عزوز، المقاربة النصية من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص 120.

فمن جهة أخرى يستمد النص دلالته من قصديته إذ «تكمن وظيفته في قصديته » ومن جهة أخرى تؤثر هذه القصدية في بنائه فكلما اتسم بالاتساق والانسجام كلما كان يتجه نحو تحقيق غايته.[1] معنى ذلك أن كل فعل كلامي إلا وله قصد معين وليس أمراً تلقائيا، لأن المتكلم لديه غرض يريد إيصاله، فالتداولية إذن تركز على القصدية من خلال الاتصال اللغوي في سياق معين لأنها تدرس اللغة التي يستعملها المتكلم.

4. متضمنات القول Les Implicites:

مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره ومن أهمها :

1- الافتراض المسبق pré-supposition: في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم. تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات و البنى التركيبية العامة.[2]

فالافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين[3]، ونوضح ذلك من خلال المثال الآتي :

- أغلق النافذة.

- لا تغلق النافذة.

يتمثل الافتراض المسبق هاهنا في كون النافذة مفتوحة.

2- الأقوال المضمرة Les sous–entendus: هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية. تقول أوركيوني «القول المضمر هو كتلة المعلومات التي تمكن للخطاب أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن الخصوصيات سياق الحديث.» ومثال ذلك قول القائل :«إن السماء ممطرة».

---

[1] فوزية عزوز، المرجع السابق، ص 120.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص30 ،31.

[3] جورج يول، التداولية، ص51.

إن السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

- المكوث في بيته.
- أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.
- أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.
- أو عدم نسيان مظلته عند الخروج...

وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب.

والفرق بينه وبين الافتراض المسبق أن الأول وليد السياق الكلامي والثاني وليد ملابسات الخطاب.[1]

5- الإشاريات deixis:

تقترن الإشاريات بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على زمرة من الوحدات التركيبية والعوامل الدلالية غير المنفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ. يفهم من ذلك أن الإشاريات عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد. لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى. فضمير المتكلم "أنا" يظل مجردا، مبهما، ما لم تقترن حالته بسياق معلوم لدى المتخاطبين، وكذلك الحال مع "الآن"و"هنا"وغيرهما على هذا الأساس يمكن أن نستنتج أن للإشاريات طابعا اصطلاحيا تواضعيا، شأنها في ذلك شأن علامات اللسان الأخرى [2].

فيتضح من خلال هذا بأن الإشاريات تعمل على تفسير الكلمات في سياق معين ولا يمكن تفسيرها بمعزل عنه.

ويتفق أغلب الباحثين على أن الإشاريات خمسة أنواع :

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص32.

[2] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص76، 77.

إشاريات شخصية، وإشاريات زمنية، وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية أو نصية، واقتصر بعضهم على الثلاثة الأُوَلْ، وبعضهم على الأربعة الأُخَر وسوف نوجز القول في أنواعها الخمسة[1]:

أ- الإشاريات الشخصية:

وهي تمثل الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطَبِ والغائب، سواءً أكانت متصلة أم منفصلة أنا/نحن...

ب- الإشاريات الزمنية:

وتمثلها ظروف الزمان بصورة عامة، فإذا لم يعرف الزمن التبس الأمر على المتلقين[2]، إذا اتضح لـ "بنفنيست" أن دلالة الزمن لا تحدد بزمن الفعل أو الظرف في حد ذاته، وإنما بزمن التلفظ... مثل أمسِ، فإن دلالته تحدد بالزمن الذي أنتج فيه الملفوظ، أي أنه يدل على اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ.[3]

ت- الإشاريات المكانية:

وتمثلها بصورة عامة ظروف المكان، ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للخطاب أو للمخاطِب والسامع، ولعل أكثر الإشاريات المكانية الواضحة هي:

هذا، ذاك. وظروف المكان هنا، هناك، تحت.

ث- الإشاريات الاجتماعية:

وهي ألفاظ أو عبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية، أو غير رسمية، أو علاقة حميمية أو غير حميمية، أو غير ذلك من مستويات العلاقة.[4]

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة، ص 17.

[2] عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، دت، ص44.

[3] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص80.

[4] عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، ص 45.

ج- الإشاريات الخطابية أو النصية :

عناصر إشارية لا تحيل إلى ذات المرجع الذي تحيل إليه الإحالات الضميرية، فإذا روى شخص قصة تذكره بأخرى، قال : لكن تلك قصة أخرى.[1]

6- الاستلزام الحواري conversational implicature:

يعد الاستلزام الحواري من أهم جوانب التداولية وهو مفهوم أتى به بول غرايس وهو محور بحثنا وسنحاول فيما يأتي التفصيل فيه.

5- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

إن التداولية تتقاطع مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة من بينها: البلاغة والبنيوية والسيميائية وعلم النفس وعلم الاجتماع... للكشف عن العلاقات القائمة بينها وبين العلوم الأخرى.

1- علاقة التداولية بالبلاغة:

يرتبط مصطلح البلاغة عند أهل اللغة، بالدّلالة على حسن الكلام مع فصاحته وأدائه للغاية المرادة منه (القصد) فهي مأخوذة من قولنا: بلغ الشّيء منتهاه وأدرك أقصاه.[2]

وتُعرف البلاغة بأنها "فن القول بشكل عام " أو "فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ" مما يجعلها مجرد أداة نفعية ذرائعية، يعد الباحث الألماني لوسبرج البلاغة نظاما له بنية من الأشكال التصورية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد ويرى ليتش أن البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، باستخدام وسائل محددة للتأثير،[3] وأول ما تتصرف إليه البلاغة هو "الإبلاغ"، فتعالج كيفية التأثير في الآخر وإقناعه وبيان المقاصد التي يهدف الباحث إلى تحقيقها، وهذا يعد من صميم البحث التداولي، حيث يعالج درجات التفاعل الاتصالي بين المخاطِب والمخاطَب وشدّة التأثير وقوته، التي تتم بالأفعال

[1] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في اللسانيات النص وتحليل الخطاب- دراسة معجمية-، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص87.

[2] باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 42.

[3] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص 166.

الكلامية الموظفة في الخطاب، والأدوات المختلفة (أدوات التوكيد، النفي، التعريف التنغيم،..)وكذا تحديد سمات الخطاب الناجع (الكلام البليغ).فواضح أن للبلاغة وشائج قربى مع نظريّة الاتّصال واللّسانيات التّداولية، فإذا كانت هذه الأخيرة، في أوجز تعريفاتها «هي دراسة مناحي الكلام، أو دراسة اللغة حين الاستعمال فإن البلاغة هي المعرفة باللّغة أثناء استعمالها».[1]

أي أن البلاغة لها علاقة وثيقة باللسانيات التداولية فكلاهما يعتمدا على دراسة اللغة أثناء الاستعمال.

إن البلاغة العربية واللسانيات التّداولية "يشتركان ويتّفقان" كما هو واضح في الاعتماد على اللغة بعدّها أداة لممارسة الفعل على المتلقي في سياقات مخصوصة ولذلك نجد من المحدثين من يُسوّي بين البلاغة والتداولية مثلما يرى" جيفري ليتش" أن البلاغة تداولية في صميمها، فكلاهما يهتم بعمليّة التلفّظ والعوامل المتحكمة فيها، قبل الكلام، وأثناء التلفظ بالخطاب، وإلى غاية إنجازه؛ فالبلاغة والتّداولية، علمان يتفقان في « دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلّم في عملية التّواصل وعوامل المقام المؤثّرة في اختياره أدوات معيّنة دون أخرى للتّعبير عن قصده، كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال، وأثر العلاقة بين المتكلّم والمخاطَب على الكلم والمقاصد من الكلام».[2]

غير أن دارسي التداولية يرون ضرورة تضييق مجال البلاغة باعتبارها أداة ذرائعية، فالتداولية إذن قاسم مشترك بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية، ثم ما لبثت التداولية أن نمت وتطورت وتوسع مجال اهتمامها بعد أن كانت مجالا من مجالات السيمياء وأصبح لها رواد كثر من لسانيين ومناطقة أسهموا في تطويرها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة.[3]

2- علاقة التداولية بتحليل الخطاب:

إن التداولية تتقاطع مع تخصص" تحليل الخطاب " ويكفي في رأينا أن الإشارة إلى أن التداولية قد أسهمت بكل نظرياتها المعروفة في إثراء مفاهيم تحليل الخطاب، ومن بين فروعها الأساسية "نظرية

[1] باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 43.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

[3] نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص166.

أفعال الكلام "، ومنها أيضا الدراسات التي قدمها مجموعة من اللسانيين في أبحاث التلفظ الأدبي "ميخائيل باختين"، كما تعد أبحاث "ب. غرايس و أ.ديكور" في قوانين الخطاب من أهم الأدوات التي قدمتها التداولية لتحليل الخطاب، هذه إضافة إلى أبحاث الحجاج ابتداء من البلاغة الجديدة عند "بيرلمان إلى أبحاث ديكرو وأنسكومبر" وغيرهم.[1]

ونستطيع أن نعرف تحليل الخطاب بأنه نظر في تركيب لساني منسجم، ذو علاقة وثيقة بالنظر في السياق التواصلي لهذا التركيب، مع التركيز على حمولته الدلالية والمضمونية، إضافة إلى تحليل نوعه وشكله، وكيفيات تفاعله مع التركيبة الاجتماعية والثقافية التي أحاطت به.[2]

يتضح من هذا التعريف بأن تحليل الخطاب يهتم بدراسة الملفوظات في تحليلها وتفسيرها وفق منهج معين في سياق ما اجتماعي، ثقافي، ديني...

ويقوم التداخل المفهومي بين التداولية وتحليل الخطاب أساسا في مجموعة من النقاط نجملها فيما يلي:

1- الاهتمام بالسياق بشكله العام أي المقام التواصلي والمعارف المشتركة بين المتخاطبين، ومن المهم في تحليل الخطاب بيان قيمة المقام التواصلي الذي جرى فيه الخطاب وتحليل الأفعال الكلامية الموجودة فيه وصولا إلى الأفعال الكلّية التي لها دور أساسي في تحديد جنس الخطاب.

2- النظر في الخطاب أو النص باعتباره تواصلا إنسانيا، وإن كانت التداولية قد اهتمت في أول أبحاثها بوحدة جزئية هي الملفوظ أو الجملة في سياق التلفظ فإن هذه الوحدة لم تكن كافية بحسب بعض الدراسات، فدخلت مفاهيم التداولية في تحليل الخطاب واللسانيات النصية وعملت على إثراء دراسة هذه الوحدة الجديدة بمزيد من المفاهيم الوصفية والتحليلية.

3- النظر في وظيفة الكلام مثل ما تنجزه اللغة عبر الأفعال الكلامية وهي النظرية الأثيرة في التداولية، ومن خلال تحليل الحمولة الإيديولوجية للغة أو الحجاج من وجه آخر في تحليل الخطاب.[3]

---

[1] محمود طلحة، مبادئ تداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014، ص 22، 23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص24.

3- علاقة التداولية بعلم الدلالة:

إن كُلاّ من التداولية والدلالة علمان مترابطان يهتمان بدراسة المعنى...فالدلالة تدرس المعنى بمعزل عن السياق، أما التداولية فتدرس المعنى في سياق الاستعمال،[1] فمفهوم التداولية مرتبط بالسياق، وهذا ما عُبرَّ عنه في البلاغة القديمة بعبارة «مقتضى الحال»، ومقولة «لكل مقام مقال» وإن الدلالة جزء يتناول العلامة اللغوية باعتبارها ذات شكل نحوي معجمي، بينما التداولية تتعامل مع البلاغة، أي : مع العلامة اللغوية باعتبارها إحالة سياق وجودي؛ أي : رمز إشاري (يشير إلى سياق معنى).[2] ويهتم علم الدلالة بأدوات الربط في اللغة، ومن البين أن أدوات الربط ليست مقصورة على الدلاليين فقط في توضيح العلاقات بين الوقائع، ولكن يستخدمها التداوليون أيضا في توضيح العلاقات بين الأحداث اللغوية ؛ وتنتج من خلالها منطوقا لغويا.[3]

4- علاقة التداولية بعلم الاجتماع:

إن علم اللغة الاجتماعي يشارك التداولية في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها.[4]

5- علاقة التداولية بعلم اللغة النفسي:

وهو يشارك مع التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه، والذاكرة، والشخصية.[5]

وإن كثيراً من مبادئ علم النفس يلجأ إليها في الدرس التداولي؛ فمثلا جانب الإدراك وهو من المباحث المهمة في علم النفس يعنى به اللغويون في الدراسات التداولية.[6]

---

[1] محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004 ص6.

[2] عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، ص 55،57.

[3] محمد محمود السيد أبو حسين ، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، ص 17.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص11.

[5] المرجع نفسه، ن ص.

[6] محمد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، ص13.

وخلاصة القـول:

يتضح من خلال ما سبق أن للتداولية مصطلحات عديدة منها: البراغماتية، والذرائعية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية، والنفعية، التبادلية، حيث تستعمل عند العرب بمصطلح التداولية وعند الغرب بمصطلح البراجماتية، وللتداولية تعريفات كثيرة، وكلٌ عرفها حسب وجهة نظره لكنها لا تخرج عن كونها دراسة اللغة أثناء الاستعمال في سياق معين بحسب أغراض المتكلمين وأحوال المتخاطبين لكي تتم عملية التواصل قصد الوصول إلى المعنى.

وكانت البوادر الأولى للتداولية عند العرب من خلال ما وجدناه في كتبهم واستخدامهم لمصطلح مقتضى الحال في البلاغة العربية، فهم نظروا للتداولية ولم يوضحوها على أنها علمٍ مكتفٍ بذاته، لكن التداولية تبلورت وازدهرت في الثقافة اللغوية الغربية وأصبحت علماً جديداً مستقلاً بذاته، فالتداولية لها صلة بالعلوم الأخرى وتشترك جميعا في ميدان اللغة.

الفصل الأول

تمهيد:

يعد الاستلزام الحواري محورا هاماً من محاور التداولية؛ لأنه نوع من التواصل اللغوي وهو ينبني على معنيين معنى صريح، ومعنى ضمني الذي يريد المتكلم إيصاله، وقد تبلورت نظرية الاستلزام الحواري على يد الفيلسوف "بول غرايس"، الذي حاول إعطاء أبرز المصطلحات والمفاهيم والقواعد الضابطة له، فلذلك لا يمكن توظيف النظريات الحديثة إلا بعد استيعاد الموروث اللساني العربي، وعلى هذا سنحاول تتبع أثر هذه النظرية في الدرس اللغوي العربي والغربي.

أولا: الاستلزام الحواري في الفكر العربي

مفهوم الاستلزام الحواري:

تعريف الاستلزام لغة: في اللغة من (لَزِمَ)، وقد جاء في كتاب العين باب الزاء واللام والميم ومقلوباتها

لَزِمَ: اللّزوم:معروف، والفعل: لَزِمَ يَلْزَمُ، والفاعل: لازم، والمفعول : ملزوم، ولازَمَ لِزَامًا، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ [الفرقان] : 77،قيل: هو يوم القيامة، وقيل يوم البدر.[1] وجاء في لسان العرب :أن مادة (لَزِمَ): اللُّزوم: معروف، والفعل لَزِمَ يَلْزَمُ، والفاعل لازمٌ والمفعول ملزومٌ، لَزِمَ الشيء يَلْزَمَهُ لَزْمًا ولُزُومًا ولازَمه مُلازَمَةً ولِزَامًا والتَزَمَهُ وأَلزمهُ إِيَّاهُ فَالتَزَمَهُ. ورجل لُزَمَةٌ: يَلْزَم الشيء فلا يفارقه.[2]

أما في المعجم الوسيط فهو معجم حديث ونجد: (لَزِمَ) الشيء- لَزُومًا: ثبت ودام.[3]

نلاحظ من خلال جملة التعريفات أن معاني الجذر (لَزِمَ) تدور حول الدوام وعدم المفارقة.

تعريف الاستلزام اصطلاحا:

أ- عند القدامى:

إن علماء الفكر العربي القديم قد أولوا الاهتمام بمجموعة من القضايا التي عالجوها في أبحاثهم، حيث شكلت جوانب أساسية في الدرس اللغوي العربي القديم؛ فقد عرف مصطلح الاستلزام

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج1، ص 82.

[2] ابن منظور، أبي الفضل جمال محمد بن مكرم، لسان العرب، ج12، ص 541.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2004، ص 823.

عندهم، ولكن لم تكن تسميته بشكل صريح، حيث درسوه في العديد من العلوم منها: النحو والبلاغة وأصول الفقه.

النحـويــون:

لقد اهتمت الدراسات اللغوية بالمخاطَب(المتلقي)؛ لأن اللغة قامت في أساسها على مخاطبة أقوام على درجات متفاوتة من العلم والمعرفة، فركزت على هؤلاء المخاطَبين... ولذلك كان المخاطَب حاضرا في ذهن عالم اللغة عند قراءته للمسائل النحوية وتوجيهها، ولا غرابة في ذلك؛ لأن اللغة نظام تواصلي ترابطي ينبثق من المسافة بين المتكلم والمخاطَب، ولا يمكن لأي كلام، أو قول أن يؤدي غرضه إن لم يكن معنيا بالمخاطب ومدى إدراكه للمعطيات التواصلية حتى أصبح بالإمكان القول: "إن التوجهات النحوية للظاهرة اللغوية قامت لخدمة المخاطَب في محاولة لإنجاح التواصل الإبلاغي بين طرفي الخطاب وفق استراتيجية ميكانيكية تلتفت إلى وضع اللغة وإلى المتكلم وما يهدف إليه علاوة على تركيز رئيس على المخاطب الرئيس الذي يمكن عده محور الخطاب."[1]

ومن هنا نجد سيبويه قد اهتم بعلم المخاطَب، حيث قال في كتابه: "وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافا، ولأن المخاطَب يعلم ما يعني فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعني، لابأس عليك،[ولا ضُر عليك]، ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم.[2]

يتضح من خلال محور هذا الحديث بأن سيبويه قد وضح الإضمار في الكلام الذي يخص المخاطَب.

أما ابن السراج، فهو يوضح دور علم المخاطَب في بناء ظواهر النحو وتراكيبه فقال: "والمحذوفات في كلامهم كثيرة، والاختصار في كلام الفصحاء كثير موجود إذا آنسوا بعلم المخاطَب ما يعنون".[3]

فالحذف عبارة عن إجراء يعمد إليه المتكلم، يوفره له النظام اللغوي ويشترط في الحذف العلم بالمحذوف.[4]

---

[1] ينظر: عمر محمد أبو نواس، علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ج7، ع2، 2011، ص103،104.

[2] سيبويه، أبي بشر عمر عثمان قنبر، الكتاب، تح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص 224.

[3] ينظر: عمر محمد أبو نواس، علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولي، ص104.

[4] نعمة دهش فرحان الطائي، مجلة الملمح التداولي في النحو العربي تحليل واستنتاج، جامعة بغداد، ع8، 2013، ص 473.

وصفوة القول نرى بأن علماء النحو اهتموا بالمخاطَب كما اهتمت التداولية بالمتكلم والمخاطَب ليستفاد من عملية التواصلية، كما استخدم مصطلح الحذف عند النحويين، وجاء عند التداوليين بمصطلح البعد الضمني أو الخفي فيتضح ذلك من خلال السياق.

البـــلاغيــون:

نجد من إسهامات البلاغيين " عبد القاهر الجرجاني"،و" أبي يعقوب السكاكي" من أبرز العلماء الذين تحدثوا عن قضايا المعنى وتعرضوا إلى مسائله المتنوعة، فقد تحدث عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز عن المعنى ومعنى المعنى، حيث يقول: «المعنى»،و«معنى المعنى»، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة: و«معنى المعنى»، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.[1]

نستخلص من خلال هذا أن الجرجاني وضح فكرة المعنى بأنه عبارة عن معنيين معنى ظاهر ومعنى خفي أو معاني مستلزمة يقتضيها السياق.

ونجد في كتابه فصلاً بعنوان: في" اللفظ يُطْلق والمراد به غير ظاهره"، تحدث عن قضية الكناية والمجاز. والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردْفه/في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه،/ مثال ذلك قولهم: «هو طويل النجاد»، يريدون طول القامة = «وكثير رَمَادِ القِدْر»، ويعنون كثير القرى= وفي المرأة: «نؤوم الضحى»، والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يرادفه في الوجود، وأن يكون إذا كان.[2]

فمن الملاحظ من هذا أن استخدام العبارة اللغوية في الكناية والمجاز تعطي لنا معنى صريحا لتنتقل به إلى معنى مستلزم لإعطاء صورا جمالية أكثر وقوة في التعبير.

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، دط، دت، ص 263.

[2] المرجع نفسه، ص 66.

كما نجد أيضا السكاكي الذي تحدث عن المعنى الحرفي أو الصريح والمعنى المستلزم من خلال ما وضحه في كتابه: "مفتاح العلوم"، وتعرضه لأنواع دلالات الكلم، دلالات وضعية،و دلالات عقلية، حيث يقول:"لا شبهة في أن اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم، أمكن أن تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع، وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية... كالسقف مثلا في مفهوم البيت، ويسمى هذا دلالة التضمين، ودلالة عقلية أيضا، أو خارجا عنه، كالحائط عن مفهوم السقف، وتسمى هذه دلالة الالتزام؛ ودلالة عقلية أيضا.[1]

وجملة القول إنّ المعاني الصريحة تكون ظاهرة في الدلالات الوضعية فهي معانٍ واضحة، أما المعاني المستلزمة فتكون في الدلالات العقلية، وهي ما يسمى بالدلالة الضمنية.

كما تعرض السكاكي للحديث عن المجاز والكناية، ووضح بأن المجاز ينتقل فيه الملزوم إلى اللازم، كما تقول: رعينا غيثا، والمراد لازمه، وهو النبت.

وإن الكناية ينتقل فيها من اللازم إلى الملزوم كما تقول: فلان طويل النجاد، والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طويل النجاد.[2]

يتضح من خلال هذا بأن استخدام الكناية والمجاز في العبارة اللغوية لها معانٍ صريحة ومعانٍ مستلزمة تفهم من خلال السياق.

الأصـــوليـــون:

تعتبر إسهامات علماء الأصول ميزة أساسية في الدقة، باتباعهم منهجاً علمياً دقيقاً في تتبعهم للنصوص من أجل استنباط الأحكام الشرعية، فهم نظروا للخطاب من حيث استعماله.

فالقرآن خطاب، المتكلم فيه هو الشرع الله جلّ في علاه على التحقيق عند أهل السنّة، والمتلقي للخطاب هو المكلف، ومضمون الخطاب، هو الكلام، والكلام في تقسيم الأصوليين، أمر والنهي، وخبر استخبار، والكلام من حيث هو أحكام أمر ونهي. والحكم هو خطاب الشرع إذا تعلق بأفعال

[1] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 329، 330.

[2] المرجع نفسه، ص 130، 131.

المكلفين، أما تقسيم الكلام عند علماء البلاغة على خلاف ذلك فهم يقسمون الكلام إلى خبر وإنشاء.

جاء في كتاب المستصفى في علم الأصول:" حد الأمر القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به، والنهي هو القول المقتضي ترك الفعل.[1]

فالأمر والنهي يستلزم طلبا وإرادة من الآمر: فالأمر يتضمن طلب المأمور به وإرادة إيقاعه، والنهي يتطلب طلبا لترك المنهي عنه وإرادة لعدم إيقاعه ومع هذا ففعل المأمور به وترك المنهي عنه يتضمنان أو يستلزمان إرادة، بها يقع الفعل أو الترك أو لا يقع.[2]

فالصيغة التي يأتي عليها الأمر هي (افعل) التي تطلق على أوجه منها الندب، والإرشاد، والإباحة، والتأديب، والتهديد، والوجوب، وأما عن الوجوب كقوله تعالى:﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أما الصيغة التي يأتي عليها النهي فهي (لا تفعل)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾، إلا أن هذه الصيغة قد تخرج بحكم المقامات والسياقات التي ترد فيها إلى معان فرعية" مستلزمة" حصرها الغزالي في سبعة، دون تحليل لكيفية انتقال المعنى الصريح إلى معنى التحريم، الكراهية، الإرشاد، الدعاء، بيان العاقبة، إثبات اليأس، التحقير.[3]

ولقد قسم علماء الأصول الدلالة إلى ثلاث: دلالة المطابقة، ودلالة التضمين، ودلالة التزام، فدلالة الأولى كدلالة لفظ الإنسان، على معناه. والثاني كدلالة لفظ الإنسان على ما في معناه من الحيوان أو الناطق.

أما دلالة الالتزام، فهي أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج؛ فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر عدم الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوما، ودلالة التزام وإن شاركت دلالة التضمين في افتقارهما في نظر عقلي يعرف اللازم في الالتزام والجزء في دلالة التضمين؛ غير أنه في التضمين لتعريف كون الجزء داخلا في مدلول اللفظ

[1] ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011. ص 41، 45.

[2] أبي إسحاق الشاطبي، الموافقات في الأصول الشريعة، تر عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 538.

[3] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص51، 52.

وفي الالتزام لتعرف كونه خارجا عن مدلول اللفظ؛ فذلك كانت دلالة التضمن لفظية بخلاف دلالة الالتزام، ودلالة الالتزام مساوية لدلالة المطابقة ضرورة امتناع خلو المدلول اللفظ المطابق عن لازم، وأعم من دلالة التضمن؛ لجواز أن يكون اللازم لما لا جزء له.[1]

ومما سبق يمكن القول بأن علماء الأصول كان لهم ما يعرف بالاستلزام الحواري إلا أنه لم يكن واضح المبادئ، فهم نظروا إلى الخطاب من جهة استعماله وتداوله، كما أنهم اهتموا بأنواع الدلالة التي اهتم بها علماء البلاغة.

ب- عند المحْدِثين:

يعد علماءُ العرب المحدثون من الذين اهتموا بالجانب التواصلي والتبليغي للغة من خلال الجانب الاستعمالي لها ومراعاة سياق الخطاب، فعلماء العرب لم ينطلقوا من فراغ، بل وقفوا على الجهود التي قدمها القدامى.

ونجد من العلماء المحدثين "طه عبد الرحمان، ومسعود صحراوي، وأحمد المتوكل".

أولا: طه عبد الرحمان

تحدث" طه عبد الرحمان " في كتابه " اللسان والميزان" عن دلالة الاقتضاء عند الأصوليين حيث يقول: اعلم أن «دلالة الاقتضاء هي استلزام القول لمعنى تابع للمعنى العباري من غير توسط دليل ومع توقف فائدة القول عليه»؛ ومثاله:

تصدق عني بزرعك بألف درهم!

لا يخفي أن المقصود الذي سبق له هذا القول هو تكليف المخاطب بالصدقة على الفقراء من زرعه، إلا أن هذا التكليف بالصدقة يوجب أن يكون هذا الزرع في ملك المتكلم؛ وحتى تنتقل إليه هذه الملكية، فإنه يحتاج إلى أن يبتاع من المخاطب زرعه، فحينئذ يعد معنى « طلب التملك بالمعاملة» بمنزلة «الاقتضاء» أو أقل «المقتضى» الذي يصير به القول مفيدا.[2]

[1] ينظر: علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 2003، ج1، ص32،33.

[2] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998، ص108، 109.

كما نجد طه عبد الرحمان تحدث عن السلوك الحواري ومراتبه الثلاث في قوله:

«اجتهدنا قدر المستطاع في الأخذ بأسباب اللغة العربية في التعبير والتبليغ ووظفناها في التنظير لموضوع هذا البحث؛ ومن مظاهر هذا التوظيف العلمي، أننا ميزنا بين مراتب ثلاث في السلوك الحواري: «الحوار» و«المحاورة» و«التحاور».[1]

فالحوار هو مناقشة الكلام بين الأشخاص، والمحاورة هي المجادلة بين اثنين أو أكثر في موضوعات معينة، أما التحاور فتبادل الحوار لكي يتم الفهم.

ونجده اقترح مبدأ أسماه مبدأ التصديق واعتبار الصدق والإخلاص، منها «مطابقة القول للفعل» «وتصديق العمل للكلام» ونصوغ هذا المبدأ كما يأتي:

- **لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك.**

ينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين: أحدهما، «نقل القول» الذي يتعلق بما أسميناه بالتبليغي من المخاطبة، والثاني، تطبيق القول الذي يتعلق بما أسميناه بالجانب التهذيبي منها.أي أن مبدأ التصديق يقوم على اثنين أو يجمع بينهما هما الجانب التبليغي والجانب التهذيبي.

وتتفرع عن مبدأ التصديق في الجانب التبليغي قواعد مضبوطة تتمثل في:

أ- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع وإمّا في دفع ضرر.

ب- ينبغي أن يأتي المتكلم به في وموضعه ويتوخى به إصابة فرصته.

ج- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

د- يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.

كما تتفرع على مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي قواعد قمنا باستقرائها من التراث العربي الإسلامي تتمثل في:

قاعدة القصد: لتتفقد قصدك في كل قول تُلقي به على الغير.

قاعدة الصدق: لتكن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك.

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 29.

قاعدة الإخلاص: لتكن في تودك للغير متجردا عن أغراضك.[1]

وبناءا على ما سبق نجد الجهود التي قدمها طه عبد الرحمان كانت بارزة في الدرس اللساني الحديث، واقتراحه لمبدأ جديد ألا وهو مبدأ الصديق في مقابل مبدأ التعاون عند غرايس.

ثانيا: أحمد المتوكل*

لقد كانت جهود الباحث أحمد المتوكل بارزة في تتبع واستقراء الدرس اللغوي الغربي، في محاولة إعطاء آراء لوصف نظرية الاستلزام التخاطبي من خلال مؤلفاته نذكر منها: اللسانيات الوظيفية المقاربة، والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، وقضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية.

وقد اهتم أحمد المتوكل بالبنية والتواصل الأمثل ووضح أن عملية التواصل تقتضي ثلاثة عناصر أساسية:

متكلِّم ← خطاب ← مخاطَب[2]

إنتاج تأويل

ونقصد بالتواصل الأمثل التواصل الضامن لتبليغ القصد والفحوى بأوضح وسائل التعبير،[3] فالتواصل الأمثل هنا متعلق بالغاية.

وقد تحدث بمعنى صريح عن المحتوى القضوي والقوة الإنجازية الحرفية، والقوة المستلزمة فمن المعلوم أن الحمولة الإنجازية لجمل اللغات الطبيعية يمكن أن تتضمن قوة إنجازية حرفية واحدة كما في الجملة التالية:

هل عاد خالد من السفر؟

أو قوة إنجازية مستلزمة إضافة إلى قوة إنجازية حرفية كما هو الشأن في الجملة التالية التي تواكبها قوتان، سؤال وإنكار:

---

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 249، 250.

* أحمد المتوكل: ولد 1942بالرباط تخصص في تدريس النحو الوظيفي ومن أهم أعماله الوظائف التداولية في اللغة العربية، دراسات في نحو اللغة العربية.

[2] أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص 28.

[3] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقاربة دراسة في التنميط والتطور، دار الأمان، الرباط، ط1، 2012، ص 119.

هل يستوي العالم والجاهل؟

إمكانية تعدد القوة الإنجازية هذه لا تأتى إلا حين يكون الخطاب من النمط الذاتي كالخطاب الحواري. أما في الخطاب الموضوعي، سرديا كان أو وصفيا، فإن قوة الجمل الإنجازية لا تكون إلا واحدة ولا تكون إلا « إخبارا ».[1]

ثالثا: مسعود صحراوي*

يعد كتاب مسعود صحراوي المعنون ب:" التداولية عند علماء العرب"، عبارة عن دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، فقد تعرض لهذه الظاهرة ضمن نظرية الخبر والإنشاء.

وتحدّث مسعود صحراوي على مصطلح" الاستلزام الحواري"، وقد لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللسانيون التداوليون وخصوصا الفيلسوف غرايس، أن جمل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي ويتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين:

(أ) و(ب):

الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟.

الأستاذ (ب): إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

لاحظ الفيلسوف غرايس أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالة لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي والآخر مستلزم. معناها الحرفي أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أن الطالب المذكور ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة.[2]

كما نجد مسعود صحراوي تحدث عن الغرض أو القصد والذي عرف عند النحاة والبلاغيين والأصوليين، فقد اهتموا به لأنه يخص المتكلم، ومراعاة حال السامع من أجل حصول الفائدة التي

[1] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، دط، 2001، ص 28.

* مسعود صحراوي: باحث جزائري ومن أهم أعماله التداولية عند علماء العرب.

[2] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص 33.

يجنيها من الخطاب، ومن ذلك اشترط عبد القاهر الجرجاني معرفة غرض المتكلم وقصده في تحديد بعض الوظائف النحوية (لاسيما المسند والمسند إليه).[1]

ثانيا: الاستلزام الحواري في الفكر الغربي

مفهوم الاستلزام الحواري :

تعريف الاستـــلزام:

جاء في معجم المورد الحديث مصطلح (Implication)، يعني تضمين. تضمُن. المتضمَّن: معنَى متضمَّن.

والمشتقة من الفعل(Imply)، يتضمن: يدل ضمنا على.[2]

ويرجع الفضل في نشأة هذا الجانب من الدّرس التداولي إلى الفيلسوف الأمريكي " بول غرايس" Paul Grice.[3] وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية natural language،[4] في مقال نشره سنة 1975، بعنوان المنطق والحوارlogic and conversation، قام فيه بتوصيف ظاهرة الاستلزام، وبيان الأسس المنهجية التي يقوم عليها، من خلال تطوير مفهوم الدلالة غير الطبيعية،[5] وقد كانت نقطة البدء عند جرايس هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، ليركز في بحثه على إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما تم تبليغه، حيث أراد بول غرايس، تقديم وصف وإقامة معبر بين ما يحمله القول الصريح، وما يحمله من معنى متضمن،[6] فالمعنى الصريح أو العرفي يشير إلى استلزام في المنطوق المعتمد على معاني الكلمات والتعبيرات العرفية، أما المعنى المتضمن أو الاستلزام الخطابي

[1] مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص 201.

[2] رمزي منير بعلبكي، المورد الحديث قاموس انجليزي- عربي، دار العلم للملايين، لبنان، دط، دت، ص 574.

[3] باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي،ص 30.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة، في البحث اللغوي المعاصر، ص 32.

[5] باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 30.

[6] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة،في البحث اللغوي المعاصر ص33.

فيهتم ليس فقط بالمعنى الحرفي للجمل، ولكنه ينظر للسياق الذي قيلت فيه والمعرفة الخلفية للمتكلم والسامع.[1]

فقد وضح غرايس مفهوم الدلالة الطبيعية وغير الطبيعية، ويقارن أمثلة من قبيل « يشير منبه الحافلة إلى الانطلاق »و «تدل البذور المنتشرة على جلد زيد على أنه يعاني من مرض جدري الماء» بأمثلة من قبيل:

«أن يقول زيد لعمرو:" إن غرفتك زريبة خنازير"، فإنه يقصد أن غرفة عمر وسخة وغير مرتبة ».

وتوافق الأمثلة الأولى الدلالة الطبيعية فهي ظواهر وضعت في علاقة مع أعراضها أو نتائجها. وتوافق الأمثلة الثانية دلالة غير طبيعية، فهي صلة قائمة بين محتويات يريد القائلون إبلاغها والجمل التي استعملوها لإبلاغها.

واقترح غرايس تعريفا للدلالة غير الطبيعية: أن نقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مُخَاطَبِه بفضل فهم هذا المخاطَب لنيته.

ويرتبط مفهوم الدلالة غير الطبيعية ارتباطا وثيقا بأحد معاني الفعل الإنجليزي To mean، وهو المعنى الذي نترجمه بالفرنسية إلى Vouloir dire (قصد). وهكذا يشدد غرايس في التواصل اللغوي على نوايا القائل وعلى فهم المخَاطَب لهذه النوايا.[2]

أنواع الاستلزام:

الاستلزام النموذجي:

يتفق (جرايس) مع ما يسميه السكاكي بإجراء المعنى على الأصل، وذلك باستعمالها في سياقات عامة يتعذر على المرسل إليه الانتقال إلى قصد غير القصد الأصلي الذي يتطابق فيه معنى الخطاب مع قصد المرسل. وهو ما يسميه فاخوري بالاقتضاء، لأن «الاقتضاء مفهوم منطقي بينما الاستلزام

[1] ينظر: رانيا فوزي عيسى، علم اللغة النصي رسائل الجاحظ نموذجا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2014، ص 6.

[2] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص53.

مفهوم لساني تداولي، ذلك أن الاقتضاء يمتاز بكونه لا يتغير بتغير ظروف استعمال العبارة فهو ملازم لها في جميع الحالات والأحوال، أما الاستلزام فإنه يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية».

ويتضح استثمار المرسل له في إفهام المرسل إليه قصده في الخطاب التالي:

الفاكهة الطبيعية هي السرّ في طعم العصير.

إذ يقتضي هذا أن:(العصير مكون من الفاكهة الطبيعية). وهو القصد الرئيس للمرسل.[1]

وضح طه عبد الرحمان أنه لا فرق بين لفظ(اللزوم)، ولفظ (الاستدلال)،إلا من حيث أن الأول يدل بمضمونه على معنى (الاقتضاء)، وهو أقوى من معنى (الطلب)، الذي يدل عليه الثاني بصيغته؛ إذ إن كل اقتضاء طلب، وليس كل طلب اقتضاء، ومن حيث أن الثاني استعمل في هذا معنى (حاصل الاستنتاج)، بينما الأول لم يستعمل في هذا المعنى، وإن استعمل فيه لفظ مشتق منه وهو اللازم.

وبذلك يمكن أن نفهم أن مفهوم الاستلزام المبني على اللزوم يستوعب مفهوم الاقتضاء ويتضمنه؛ فالاقتضاء قائم على الطلب، والطلب يدخل ضمن مفهوم الاستلزام؛ وقد وضع الباحث (محمد السيدي) مصطلح الاستلزام مقابلا للمصطلح الأجنبي Implicatire، فهو يرى أن مفهوم الاستلزام أقرب إلى الدراسات التداولية، في حين أن مفهوم الاقتضاء قريب من المفاهيم المنطقية، فضلا عن غيره من الباحثين الذين اختاروا هذا المصطلح مقابلا للمصطلح الأجنبي Implicatire، وذلك لأسباب منها أن هذا المصطلح ورد بمعناه –تقريبا– في الموروث الفكري العربي في أثناء حديثهم عن دلالة الاستلزام ودلالة التضمين ودلالة المطابقة في علم الدلالة العربي، كما ورد هذا المصطلح في أثناء حديث البلاغيين العرب القدماء عن مفهوم اللازم والملزوم، والكناية وانتقالاتها اللزومية.[2]

[1] عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 432.

[2] خالد سهر محيي، في مفهوم الاستلزام التخاطبي، مجلة ديالي، الجامعة المستنصرية،كلية الآداب، ع71، 2016، ص 100،101.

الاستلزام الحواري:

لقد انطلق غرايس في بحثه من كون الناس قد يقولون في حواراتهم، ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ذلك،[1] وهو الاستلزام الذي ينتج عن خرق* القواعد، إذ يكون ذلك في سياق خاص؛ يحتاج فيه كل من طرفي الخطاب إلى معلومات إضافية، وبهذا فإنه يكون أكثر تعقيدا في الاستدلال لمعرفة قصد المرسل «فمعظم التلفظات التي تستغل الحِكم تندرج تحت الاقتضاء الخاص»، فلو تلفظت الأم مع ولدها الذي أرسلته للتبضع من السوق بالخطاب التالي:

لماذا عدت؟!

فإنه يصعب معرفة القصد عند عدم معرفة السياق الذي نتج فيه الخطاب... باعتبار الأم تستنكر على ابنها العودة، لتتحول دلالة خطابها من السؤال إلى الإنكار عليه، فلا يرجح الدلالتين إلا بمعرفة السياق.[2]

مبادئ المحادثة:

لقد كان ما يشغل غرايس هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع الخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟، وقد وجد حلا لهذا الإشكال فيما أسماه **مبدأ التعاون** Principle co-operative بين المتكلِم والخاطَب،[3] وهو مبدأ تداولي حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية، يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب.[4]

وصيغة هذا المبدأ هي:

- **ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه.**

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

* الخرق: يتم الخرق عندما يُنْتَهَك إحدى القواعد الأربعة التي يحكمها مبدأ التعاون.

[2] عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص 437.

[3] محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33، 34.

[4] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص 258.

يعني ذلك أن الكلام لا يكون خارج إطار الحوار لتجنب الالتباس والغموض لتحقيق الهدف الذي يرمو إليه.

وأما مبادئه الفرعية أو قواعد التخاطب هي:

قاعدتا كم الخبر،وهما:

لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

قاعدتا كيف الخبر، وهما :

لا تقل ما تعلم كذبه.

لا تقل ما ليست لك عليه بينة.

قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال، وهي:

ليناسبك مقالك مقامك.

قواعد جهة الخبر، وهي:

لتحترز من الالتباس.

لتحترز من الإجمال.[1]

وهذا المبدأ الأخير يتفرع إلى:

-الوضوح:حيث يجب أن يكون خطابك واضحا في قصده.

- تجنب الغموض والإبهام:بالابتعاد عن الكلمات الملتبسة التي تحمل معاني مختلفة في سياقات مختلفة.

-الإيجاز: بتركيز المخاطب على ما يجب أن يقال.

- الترتيب: والمقصود ترتيب المفردات في الخطاب، وبضرورة عرض ما لدى المتكلم من معلومات كما يطلبها الآخرون.[2]

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 238.

[2] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص 258.

ويعد مبدأ التعاون لنظرية غرايس الاستلزامية الحوارية العمود الفقري، وإن أي خرق يحدث لهذه القواعد يؤدي إلى انتقال الدلالة من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم.

إن غرايس قد ربط مبدأ التعاون بالجانب التبليغي من التخاطب، وقد أهمل الجانب التهذيبي لأنه لم يفرده بالذكر، حيث يقال: إن «غرايس» قد أشار إلى هذا الجانب في عبارته التي جاء فيها:«هناك أنواع شتى لقواعد أخرى، جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل « لتكن مؤدبا» التي يتبعها عادة المتخاطبون في أحاديثهم والتي قد تولد معاني غير متعارف عليها». فعلى الرغم من ذكر «غرايس» لجانب التهذيب من المخاطبة في هذه الإشارة...وذلك للأسباب الثلاثة التالية:

أنه لم يفرده بالذكر، بل جمع إليه الجانب التجميلي والجانب الاجتماعي بوصف هذه الجوانب جميعا لا تستجيب للغرض الخاص الذي جُعل للمخاطبة، ألا وهو نقل الخبر على أوضح وجه !.

أنه لم يبين كيف أن نباشر وضع القواعد التهذيبية، ولا كيف يمكن أن نرتبها مع القواعد التبليغية.

أنه لم يتفطن إلى أن الجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل في خروج العبارات عن إفادة المعاني الحقيقة أو المباشرة.[1]

أما المبدأ الثاني من مبادئ المحادثة هو«**مبدأ التأدب**» الذي نال اهتمام التداولية، ولا يقل أهمية عن سابقه، وهو الذي يفرض على المتحدثين أن يحترم بعضهم بعضا في الكلام،[2] فهو مبدأ أوردته «روبين لاكوف» في مقالتها الشهيرة: «منطق التأدب».

وصيغة هذا المبدأ هي:

- **لتكن مؤدبا**.[3]

وقد فرّعت «روبين لاكوف » ثلاث قواعد عن مبدأ التأدب سمتها قواعد تهذيب الخطاب، إذ يتلفظ المرسل بخطابه وفقا لواحد منها، أو أكثر، وهي:

قاعدة التعفف وهي:

[1] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 239، 240.

[2] عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، ص46.

[3] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 240.

لا تفرض نفسك على المرسل إليه، أي تبق متحفظا، ولا تتطفل على شؤون الآخرين.

قاعدة التخيير وهي:

لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة.

قاعدة التودد وهي:

لتظهر الود للمرسل إليه، أي كن صديقا.[1]

وعليه فإن مبدأ التأدب تختلف قواعده فهي تندرج في القوة لأنها ليست متساوية فيما بينها فقاعدة التشكك (التخيير) أقوى من قاعدة التعفف، وقاعدة التودد أقوى من قاعدة التشكك مما يجعل القيام ببعضها قد يسقط العمل بالبعض الآخر؛ فحيث تصلح قاعدة التودد، فقد لا تصلح قاعدة التشكك؛ وحيث تفيد قاعدة التعفف، فقد لا تفيد قاعدة التشكك؛ كما أنه حيث تنفع قاعدة التشكك، فقد لا تنفع قاعدة التودد، فقد ينتقل المستوى التخاطبي إلى مستوى تخاطبي غيره.

كما أن هذه القواعد التأديبية التي قد تتداخل مع القواعد التعاونية حتى إنّه يجوز إدراج هذه القواعد أي التعاونية تحت قاعدة التعفف، لأن قواعد التعاون تتطلب بوضوح المضامين المبلغة وهذا بالذات ما توجبه قاعدة التعفف.

يتبيّن إذن أن مبدأ التأدب الذي يقف على الجانب التهذيبي بفضل المبدأ التعاوني الذي يقتصر على الجانب التبليغي للتخاطب، ويرجع الفضل إلى «غرايس» في فتح باب رد التبليغ إلى التهذيب: فقد ظهر أنه بالإمكان رد القواعد التعاونية إلى قاعدة التعفف المفترعة على هذا المبدأ.[2]

مبدأ التواجه أو الوجه:

أما المبدأ التداولي الثالث الذي ينضبط به التخاطب، فهو ما نسميه «مبدأ التواجه»، مستعملين لفظة «التواجه» في معناها اللغوي الذي هو «مقابلة الوجه للوجه»، وقد ورد مضمون هذا المبدأ عند «براون» و«ليفنسن» في دراستهما المشتركة: «الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب».

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 100.

[2] ينظر: طه عبد الرحمان اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 241،242.

ويمكن أن نصوغ هذا المبدأ كما يلي:

- **لتَصُنْ وجه غيرك.**[1]

وارتكز هذا المبدأ على عاملين هما:

قيمة الوجه الاجتماعية.

نسبة تهديد الوجه.

قيمة الوجه الاجتماعية: يجب على المرسل أن يصون وجه غيره، صيانة لوجهه هو، أيضا، وذلك علامة على الاحترام المتبادل والتعاون بينهما، ويقترح (براون وليفنسون) هذا المبدأ، بوصفه الوجه هو رغبات الإنسان الأساس، فيقسمانه إلى قسمين رئيسين، هما:

الوجه الدافع، وهو: رغبة الإنسان في ألا يعترض الآخرون على أفعاله.

الوجه الجالب، وهو: رغبة كل واحد في أن تكون إرادته محترمة على الأقل من البعض الآخر.

نسبة تهديد الوجه: ينبغي الباحثان تصنيف عدد من استراتجيات التخاطب لضمان الاحترام المتبادل،ومما لزم عنه تصنيفا للأفعال التي تهدد الوجه، وتحديد أثر كل منهما. ولهذا يربطان بين الأفعال اللغوية وبين نسبة تهديدها للوجه، وأثر كل صنف منها، إذ يتضح لديهما أنه من البديهي أن بعض الأفعال اللغوية تهدد الوجه حقيقة، خصُوصا الأفعال، التي تتعارض طبيعتها مع إرادات طرفي الخطاب.[2]

وبالتالي فالأفعال التي تهدد وجه المتكلم الإيجابي هي الاعتذار والندم، والتي تهدد وجهه السلبي فهي الشكر وقبول الشكر، وأما الأفعال التي تهدد وجه المتلقي الإيجابي فهي: الذم والسخرية، والتي تهدد وجهه السلبي هي الأمر والنصح والطلب والتذكير والإنذار والتحذير والوعيد.[3]

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 243.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص 103،104.

[3] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 243.

استراتجيات الخطاب في مبدأ الوجه:

... لقد اقترح (براون وليفنسون) عددا من استراتجيات المناسبة، التي تضمن التواصل والتفاعل، لأن أي عاقل سوف يبحث ليتجنب هذه الأفعال التي تهدد الوجه، أو سوف يوظف استراتجيات معينة للتقليل منها.

وقد تم تصنيف الاستراتجيات إلى خمس درجات، لتمثل في مجملها سلما لدرجات التأدب، وهذه الأصناف الخمسة هي:

الاستراتجيات الصريحة.

الاستراتجيات التأدب الإيجابي.

الاستراتجيات التأدب السلبي.

الاستراتجيات التلميح.

استراتيجية الصمت.[1]

مبدأ التأدب الأقصى:

أما المبدأ التداولي الرابع، فهو«مبدأ التأدب الأقصى» الذي يورده «ليتش» في كتابه مبادئ التداوليات والذي يعده مكملا لمبدأ التعاون، ويصوغ مبدأه في صورتين إثنين:

إحداهما سلبية هي:

- **قلل من الكلام غير المؤدب،**

والثانية إيجابية هي:

- **أكثر من الكلام المؤدب.**

قواعد التخاطب المتفرعة عن مبدأ التأدب الأقصى:

تتفرع على مبدأ التأدب الأقصى قواعد ذات صورتين: سلبية وإيجابية:

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص 105.

قاعدة اللباقة، وصورتاها هما على التوالي:

قلل من خسارة الغير.

أكثر من ربح الغير.

قاعدة السخاء، وصورتاها هما:

قلل من ربح الذات.

أكثر من خسارة الذات

قاعدة الاستحسان، وصورتاها هما:

قلل من ذم الغير.

أكثر من مدح الغير.

قاعدة التواضع، وصورتاها هما:

قلل من مدح الذات.

أكثر من ذم الذات.

قاعدة الاتفاق، وصورتاها هما:

قلل من اختلاف الذات والغير.

أكثر من اتفاق الذات والغير.

قاعدة التعاطف، وصورتاها هما:

قلل من تنافر الذات والغير.

أكثر من تعاطف الذات والغير[1].

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 246، 247.

خصائص الاستلزام الحواري:

استطاع غرايس أن يضع للاستلزام الحواري خواص وهي كالتالي:

أنه يمكن إلغاؤه، فالمعنى الضمني ثانوي بالنسبة للمعنى الصريح،[1] ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه فإذا قالت قارئة لكاتب مثلا:

لم أقرأْ كُلَّ كُتُبِكَ.

فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها،الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها، ألغت الاستلزام.

الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، ويقصد غرايس بذلك أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها... ويتضح من الحوار الآتي بين الأختين :

لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغير الصياغة في قول (ب) فإن ما يستلزمه القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائما.

الاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة؛ مثال ذلك:

إذا سألت: كم عمرك؟

فهذه العبارة اللغوية متمثلة في السؤال بواسطة الأداة "كم" أي للعلم بالسن الحقيقي للشخص. فقد يخرج هذا المعنى إلى معنى آخر ألا وهو التوبيخ لعدم تصرف ذلك الشخص بسلوك حسن.

الاستلزام يمكن تقديره والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوسة يتجه بها خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام فإذا قيل مثلا:

[1] محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، ص 92.

الملكة فكتوريا صنعت من حديد.

فإن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عن ما وراء الكلام من معنى، أي من معنى حرفي يستوجب معنى ضمنيًّا الذي يتمثل في تشبيه الملكة ببعض صفات الحديد كالصلابة، والمتانة وقوة التحمل، فلذلك يلجأ إلى التعبير الاستعاري.[1]

التحاور بنية تفاعلية:

تعتبر اللغة نواة أساسية في حياة الإنسان التي بها يتم التفاعل والتواصل بين أطراف الخطاب، فاللغة فيما يرى البعض ممارسة تخاطبية (تفاعلية) تقوم بين ذوات متكلمة وأخرى مستمعة،[2] فالخطاب هو "الكلام المنطوق عندما يتجاوز الجملة الواحدة طولا". وأشار الأصوليون إلى تطور مصطلح (الخطاب)؛ فهو في عرفهم " يدل على ما خوطب به وهو الكلام "[3]يتضح من ذلك بأن الخطاب عبارة عن ملفوظ يتجاوز الجملة إلى النص لكي يتم هدف التواصل.

فإذا كان التخاطب... على صيغة "التفاعل" فإن ذلك يقتضي بحكم دلالة الصيغة نفسها وجود مشاركة بين طرفين على الأقل. وهذا ما يؤكده الأستاذ "طه عبد الرحمان " إذ يقول:" اعلم أن التخاطب هو إجمالا هو الكلام الملقى من جانبين بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا مخصوصا. ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في القيام به، لزم أن ينضبط كلام أحدهما للآخر بقواعد تحدد وجوه فائدته.[4]

يوضح طه عبد الرحمان أن التخاطب يقوم على عنصرين أساسين هما المتكلم والمستمع لكي يتم إيصال قصد المتكلم، ويجب أن يكون الكلام بينهما محكوم بقواعد يلتزم بها.

فالعملية التخاطبية تستوجب وجود ثلاثة أطراف: المرسل (الباث- المتكلم - المتلفظ - المرسل- المتحدث - المبدع)، والرسالة (النص- الأدب - الخطاب- التلفظ...)، والمتلقي (القارئ - المرسل

[1] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 38،40.

[2] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص21.

[3] خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص 22،23.

[4] العياشي أدراوي الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 21.

إليه- المستقبل- المتلفظ إليه)،[1] فالتفاعل التواصلي يشكل ماهية الحوار ومكونه الأساسي إذ لا يخلو أي حوار فعال من التفاعل التواصلي بين أطرافه، فالتفاعل Imteraction الذي يعني الفعل ورد الفعل، وبذلك يكون معناه في الحوار هو المشاركة في الفعل ورد الفعل حول مضامين معينة. وأما التواصل الذي يعني الحالة التي يصير إليها الحوار بين طرفين على الأقل. هكذا يكون التفاعل التواصلي هو تبادل الأخذ والعطاء بين ممثلي الخطاب في سياق حواري يحكمه التعاون وينبني على الملاءمة.[2]

ديناميكية الاتصال:

وهي من الموضوعات التي عنت التداولية بدراستها، وتختص ديناميكية الاتصال بدرجة النمو الاتصالي في النص أو تقدم عملية الاتصال في النص. ويرى اللغويون أن هذا المصطلح يشير إلى ما يرونه صفة من صفات التواصل، وتحديدا: أن كل عنصر من عناصر التركيب يسهم تباعا وحسب وروده، في تكوين المعنى المقصود له، على تفاوت العناصر في إسهامها هذا، أي في محتوى الإبلاغ، فالمبتدأ أو الموضوع أقل إسهاما في هذا الخبر أو التعقيب والظرف أقل إسهاما من كليهما في العادة. كما في جملة من مثل:

زيدٌ زَارنا أمسِ.

إلا إذا قصد التأكيد على الزمن وإذا ذلك يقدم الظرف عادة كقوله" أمسِ زيدٌ زارنا".[3]

ويُعنى بالموضوع lheme الأجزاء المهمة التي تقدم معلومات جديدة ذات درجة عالية من الأهمية أما التعقيب فيُعنى به الأجزاء التي تكون ذات درجة متداخلة بين الموضوع والتعقيب Rhyne.

والموضوع لذلك هو الجزء الذي يضيق قليلا إلى تقدم عملية الاتصال، ومن ثم فله القدر الأدنى من ديناميكية الاتصال وبمعنى آخر لا يضيف جديدا لما هو معروف بالفعل، وعلى العكس فإن التعقيب Rhyne هو الجزء الذي يحمل القدر الأكبر من دينامكية الاتصال.

[1] جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، شبكة الألوكة، ط1، 2015، ص 67.

[2] محمد نظيفي، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دار الكتب، المغرب، دط، 2009، ص 15.

[3] رانيا فوزي عيسى، علم اللغة النصي رسائل الجاحظ نموذجا، ص 317.

ودراسة النمو الاتصالي لا تقتصر على دراسة الجملة وحدها ولكنها تدرس تقدم هذه العملية في النص ككل. فكاتب النص يعمد إلى تقديم تمهيد عن الموضوع الذي يكتب فيه ثم يتقدم في الموضوع فينمو الاتصال.

فإن التداولية تهتم بدراسة العناصر المنظمة للاتصال النصي أو العناصر التنظيمية التي تحكم تواصل النص وهي تلك العناصر التي حدها بثلاثة عوامل هي الفعالية،والتأثيرية، والملاءمة.

أ- التأثيرية Effectiveness:

ينظر إلى التأثيرية كمعيار يعتمد على ترك النص انطباعا قويا على خلقه شروطا مفضلة لبلوغ هدف ما، أو هي الانطباع الذي يتركه النص لدى المتلقي والذي يتحقق فيه هدف منتج النص، حيث يقصد منتج النص أن يحدث انطباعا لدى المتلقي من خلال النص، فإذا تم ذلك اتسم النص بقدرته التأثيرية على المتلقي.

والتأثير طبقا لهذا المفهوم يعني قدرة المنتج أو الباث على إحداث تأثير معين في المتلقي وذلك كي يُعطي له أكبر قدر من القدرات التأثيرية، وذلك عن طريق استخدام الأساليب الإنشائية والكلمات ذات الطابع الإيحائي والتعبيرات التي تؤثر في المتلقي، مما يعزز من قدرة النص التواصلية الاتصالية.[1]

أي أن عنصر التأثيرية هي استعمال أساليب وعبارات لإحداث التأثير في المتلقي.

ب- الفعالية Efficiency:

ينظر إلى الفعالية كعنصر اتصالي يعتمد على جودة النص في الاتصال ومدى سهولة التواصل بواسطة النص، أي بذل أقل قدر ممكن من الجهد من قبل المشاركين.

ويقصد بالفعالية هنا قياس مدى منتج النص في إيصال مقاصده بشكل واضح بعيدا عن التعقيد لذلك فإن المنتج ينبغي عليه أن يستخدم «المستوى اللغوي الذي يتوافق مع ثقافة المتلقي وقدراته اللغوية وتوافقه الفكري والمعرفي وكذلك ينبغي على منتج النص أن يراعي المعيار الكمي للنص ومناسبته للمساحة الزمنية المتوقع عرض النص فيها، بحيث يرد النص متوافقا معها فلا يكون طويلا

[1] رانيا فوزي عيسى، المرجع السابق، ص 323،319.

أكثر مما يتطلبه الموقف ولا قصيرا يُفقد المتلقي القدرة على فهمه وإدراك الهدف منه»[1].ويقترب هذا المفهوم للفعالية من مفهوم الكفاءة النصية والتي تعني « صيغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل من الوسائل».[2]

ج- الملاءمة Appropriatehess:

إلى جانب كل من" التأثيرية والفعالية " يوجد معيار تنظيمي ثالث هو "الملاءمة" وهو ما يكمل المثلث التنظيمي الاتصالي للنص، فالنص يجب أن يتلاءم محتواه والأفكار الواردة فيه مع المادة اللغوية المقدمة فيه. لذلك فإن الملاءمة تعني «التوافق بين مقام النص من جهة ووسائل المحافظة على معايير النصية من جهة أخرى». أي أن الملاءمة تعنى بفحص مناسبة معايير النصية مع سياق الحال المحيط بالنص، حتى لا يطفي عنصر من تلك العناصر على العناصر السياقية فيحدث خلل في بنية النص، ومن ثم فإن عنصر "المواءمة" يهتم بتحقيق الموازنة بين التأثير والفعالية في النص.

والملاءمة تبعا لذلك هي "الرابط" للعناصر النصية فهي التي تبحث في توازن العرض النصي أي تنظر لملاءمة كل من الأفكار المنطقية واللغوية في نص ما حتى لا يطغى عنصر على آخر وحتى يتلاءم كل ذلك ليخرج النص في بنيته النهائية.[3]

ونرى أيضا أن السجلماسي قد انتبه إلى قاعدة أساسية من قواعد انسجام الخطاب وهي قاعدة عدم تكرير معنى واحد مرة أو أكثر، لأنه في هذه الحالة سيعد حشواً لا مبرر له، وهو إذ ينبه إلى هذا يشير إلى أن المقصود لديه بالمناسبة (التكرير المعنوي) هو «إيراد المعنى وما يليق به».

ويقصد بإيراد الملائم، أن يأتي بشيء وشبيهه، مثل: الشمس والقمر، والسرج واللجام، والسيف والفرند...[4]

---

[1] رانيا فوزي عيسى، المرجع السابق، ص 323.

[2] المرجع نفسه، ن ص.

[3] المرجع نفسه، ص 325.

[4] محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص 135.

وبناءًا على ما سبق نجد للاستلزام الحواري عدة مصطلحات، فهناك من يطلق عليه الاستلزام التخاطبي وهناك من يطلق عليه المحادثة أو الحوار.

وكما رأينا أن البوادر الأولى للاستلزام الحواري كانت في تراثنا اللغوي العربي القديم من خلال الجهود التي قدمها النحويون في حديثهم عن الإضمار والحذف، وكذا البلاغيون في توضيحهم لفكرة المعنى والدلالات الوضعية والعقلية، ونجده أيضا عند الأصوليين في عرضهم لأنواع الدلالة، ولذلك ظهر عندهم ما يعرف بالاستلزام الحواري وأشاروا إليه في أعمالهم، ولكن لم يسم عندهم كمصطلح ولم يكن واضح المبادئ والأسس المنهجية، وعليه نجده في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة من خلال الجهود التي قدمها العالم الغربي "غرايس" الذي أطلق عليه مصطلح الاستلزام الحواري ووضع له قواعده ومبادئه الضابطة له.

الفصل الثاني

تمهيد:

تعنى التداولية بدراسة اللغة في العملية التواصلية بوصفها ظاهرة تخاطبية وتواصلية واجتماعية، فهي ترتكز على الخطاب والسياق معا، ويعتبر خطاب ابن هشام على أنه حوار تفاعلي تواصلي بين أطراف العملية التواصلية من متكلم ومتلقٍ ورسالة، ولذلك نجد خطاب ابن هشام كثير الدلالات مما يحمله من قوة إنجازية حرفية (معانٍ صريحة)، وقوة إنجازية مستلزمة (معانٍ مضمرة).

وعلى هذا سنقوم بتسليط الضوء على سيرة ابن هشام لاستخراج المعاني الحرفية والمعاني المستلزمة واستخلاص مبادئ المحادثة التي وضعها "بول غرايس".

التعريف بكتاب السيرة النبوية لابن هشام:

تُعنى السيرة النبوية بذكر وقائع حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– من مولده إلى وفاته، وتقدم السيرة للبشيرة جمعاء نموذجاً يحتذى به في مكارم الأخلاق، ومظاهر الكمال الإنساني، وتقدم للمسلم الأسوة والقدوة التامة في حياته، والذي أمرنا بمحبته –صلى الله عليه وسلم– فوق محبتنا لأنفسنا وأولادنا والناس أجمعين، ويوقفنا على دعوة رسول الله محمد –صلى الله عليه وسلم– ومراحلها وفقهها، وتمثُّلها في الحياة المعاصرة، ومن معينِها نستقي الدروس التربوية النبوية في تعامله –صلى الله عليه وسلم– مع صحابته خاصة والناس عامة.

ويُعد كتاب السيرة النبوية لابن هشام مختصرا لكتاب محمد بن إسحاق بن يسار (150هـ)، يُعتبر كتاب ابن إسحاق من أهم وأول الكتب المؤلفة في السيرة النبوية، ومؤلفه إمام هذا الفن بلا منازع، إلا أنه كتابه لم يصلنا كاملا حتى الآن، وقد وجد من الكتاب قطعة، حققها د.محمد حميد الله، بعنوان "المبتدأ والمبعث والمغازي"، وطبعت بتحقيق آخر للدكتور: سهيل زكّار، بعنوان "السيرة النبوية لابن إسحاق برواية يونس بن بكير".[1]

[1] ينظر: ابن هشام، مختصر السيرة النبوية، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2017م، مجلد2، ص 9، 11.

لمحة عن صاحب السيرة النبوية:

هو الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَريّ المعَافِريّ، المتوفي سنة 213 أو218هـ، نشأ بالبصرة ونزل مصر[1] كان إمامًا في اللغة والنحو والعربية...، وكان مقيمًا بديار مصر واجتمع به الشافعي حين وردها وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة[2]، كان عالما بالأنساب وأخبار العرب واشتهر بكتابه: السيرة النبوية وعرفت باسم "سيرة ابن هشام" ومن الغريب، أنّ "ابن هشام" على شُهرته في كتاب السيرة لم يجد حظّه الذي يستحقه في كتب التراجم والطبقات، ولذا فإن معلوماتنا عن مراحل دراسته وحياته وتنقلاته يسيرة، وإن كنّا نعرف أنه إمامٌ في النحو واللغة العربية.

الاستلزام الحواري والخطاب:

يحظى الحوار في خطاب سيرة "ابن هشام" بأهمية كبيرة وبارزة، ومنه فمصطلح التحاور يقابل مصطلح التفاعل كما رأينا فيما سبق، فالحوار يقوم على ممارسة تخاطبية تكون بين متكلم ومستمع.
وعلى هذا فالتفاعل عبارة عن تواصل يشترط حضور متكلم ومتلقٍ لأنهما محور الخطاب التي بهما يتم الخطاب.

ومن هنا نجد خطاب "ابن هشام" خطاب حواري تفاعلي تواصلي بين أطراف الخطاب.
وما نجده من عبارات في سيرة "ابن هشام" التي تدل على التفاعل ما يلي: (حدثنا عبد الله بن وهب) (تقول العرب) (حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري) (حدثني أبو زيد الأنصاري) (فأخبروني بها وبتأويلها).[3]

وما نلاحظه من حوارات متنوعة فمنها حوار ثنائي وأكثر من ثنائي أو جماعي، فقد يتحول المتلقي إلى متكلم، ومتكلم إلى متلقٍ وفق ما يقتضيه سياق الكلام، ونجد من ذلك في سيرة ابن هشام حوار الرسول –صلى الله عليه وسلم– مع جبريل عليه السلام:

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، تع:عمر عبد السلام تدمري، الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1990، ج1، ص7.

[2] جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1967، ص531.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 32،20.

قال رَسُولُ –صلى الله عليه وسلم– : فَجَاءنِي جِبْرِيل، وأنَا نائِمٌ، بِنَمَطٍ مِن دِيبَاج فيه كِتَاب، فَقَالَ اقْرَأ، قال: قُلْتُ: مَا أَقْرَأ؟ قال فَغَتَّني به، حتى ظَنَنْتُ أنه الموت، ثم أَرْسَلني، فقال: اقْرَأ، قَالَ قُلْتُ: مَا أَقْرَأ؟ قَالَ فَغَتّنِي به حتى ظَنَنْتُ أنهُ الموت...[1]

وما نلاحظه في هذا الحديث أن المتكلم هو "جبريل عليه السلام" والمتلقي هو الرسول –صلى الله عليه وسلم–، ومن خلال تساؤل الرسول –صلى الله عليه وسلم– ما أقرأ؟ تم تبادل الأدوار وأطراف الحوار، فأصبح "جبريل عليه السلام" المتلقي والرسول –صلى الله عليه وسلم– المتكلم، وهذا التساؤل يحيلنا على رغبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– في معرفة الإجابة على هذا السؤال.

ومن أمثلة ذلك نجد:

قال ابن إسحاق: حدثني الزُهْري، عن عُروة، عن عائشة –رضي الله عنه–ا قَالَتْ: فَقَالَ ابن الدَّغِنَة: أين يا أبَا بَكر؟ قال: أَخْرَجَنِي قَومِي، وآذُونِي، وضَيَّقوا عليّ؛ قال ولِمْ؟ فو الله إنَّك لَتَزِين العَشِيرة، وَتُعِينُ على النَوائِب، وتَفْعَلُ المَعْرُوف، وتَكْسِب المَعْدُوم، ارْجَع فَأَنْتَ في جِواري.[2]

نلاحظ أيضا هنا تفاعل في تبادل أطراف الحوار فالمتكلم هو ابن الدَّغِنَة والمتلقي أبو بكر.

وعليه فإن الخطاب يشكل حوارًا تفاعلياً بين متكلم ومستمع في إرسال رسالة ما لإنجاح العملية التواصلية، وتنظيمها وفقا للمقام الذي يتضمنه.

الاستلزام الحواري بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم:

يعد الاستلزام الحواري عبارة عن خطاب أو حوار يحتوي على معان حرفية، وأخرى ضمنية التي تفهم من خلال السياق، حيث تنقسم العبارة اللغوية إلى معان صريحة أو حرفية وأخرى ضمنية أو مستلزمة:

المعاني الصريحة: وهي المعاني المتمثلة في المحتوى القضوي أي مفردات الجملة التي تتمثل في الأمر والاستفهام والإخبار...

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج1، ص267،268.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 25.

المعاني الضمنية: تتمثل في العبارة اللغوية بشكل غير مباشر دون التصريح بها.

وتمثل لهذه المعاني في سيرة" ابن هشام" على النحو التالي:

إسلام والد الطفيل وزوجه: قال: فَلَما نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي، وكَانَ شَيْخًا كَبِيراً، قَالَ: فَقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنّي يَا أَبَتِ، فَلَسْت مِنْكَ وَلَسْتَ مِنّي؛ قَالَ ولِمَ يَا بُنَيّ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَسْلَمْتُ وَتابَعْتُ دِين محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ قَالَ: أَي بُنَيّ، فَدِيني دِينُك؛ قَالَ: فَقُلْتُ: فَاذْهَب فَاغتسِلْ وَطَهِّرْ ثِيَابَك، ثُم تَعَال حَتَى أُعَلِّمَك مَا عُلِّمت. قَال: فَذَهَب فَاغْتَسَل، وَطَهّر ثِيَابَهُ. قَالَ: ثُم جَاءَ فَعَرِضْتُ عَلَيْهِ الإِسْلاَم، فَأَسْلَمْ.[1]

تتمثل القوة الإنجازية الحرفية في ضم المفردات بعضها البعض فلما، نزلت، أتاني، أبي... وهي تمثل المعنى الصريح، ويتمثل المعنى الضمني في الطلب المتمثل في الفعلين"اذهب واغتسل" ومن المستلزم أن الدين يكون على الطهارة، ومطالبة المتكلم من المخاطب إلى الذهاب للاغتسال وتطهير الثياب

ونجد كذلك:

وكلّم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رؤساء من أحبار يهود، منهم: عبد الله بن صُورِيا الأعور، وكعب بن أسد، فقال لهم: « يَا مَعْشَر يَهُود اِتّقُوا الله وَأَسْلِمُوا، فو الله إنّكُم لَتَعْلَمُون أَنّ الذِي جِئْتُكُم به لَحَقّ».[2]

يتمثل المعنى الحرفي في العبارة من : يا، معشر، يهود، اتقوا، الله... ويتمثل أيضا في النداء والأمر.

وأما المعنى المستلزم يحتوى على التنبيه من خلال أداة النداء "يا" والأمر الذي يتضمن الطلب في قوله " اتقوا واسلموا" فالرسول –صلى الله عليه وسلم– يريد من اليهود أن يؤمنوا بالله عز وجل ويسلموا خوفا من عقاب الله تعالى وذلك عن طريق التنبيه.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج2، 35.

[2] المرجع نفسه، ص 202.

الانتقال من الحقيقة إلى المجاز:

يقوم الاستلزام على الحقيقة والمجاز فالمعنى الحقيقي هو الكلمة المستعملة المتفق عليها بين الجميع أي الشائعة، والمجاز عكس ذلك أي الكلمة تعني نقل الكلمة المستعملة إلى معنى آخر مع وجود قرينة تدل على ذلك.

فما يقابل المعنى الحقيقي هو المعنى الحرفي أو الصريح، وما يقابل المعنى المجازي هو المعنى المستلزم أو المتضمن في عبارة لغوية ما.

ومن خلال ما نلاحظه في سيرة" ابن هشام" بأن هناك الكثير من المعاني الحقيقة، والمعاني المجازية، فسيرته تتوفر على صور بيانية واضحة وسنرى ذلك من خلال الأمثلة التالية:

جبريل يعيّن للرسول –صلى الله عليه وسلم– أوقات الصلاة: قال ابن إسحاق: وحدّثني عُتْبة بن مسلم مولى بني تميم، عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال: لما افْتُرِضَتْ الصلاَة عَلَى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أَتَاهُ جِبْرِيل عَلَيْه السلاَم، فَصَلّى بِه الظُهْر حَتَى مَالَت الشمْس، ثُم صَلّى به العَصْر حِينَ كَانَ ظِلّه مثله ثم صلّى به المغْرب حِينَ غَابَت الشمْس، ثم صلّى به العشَاء الآخر حِين ذَهَبَ الشفق...[1]

في هذا الحديث (مالت الشمس) فهي تحمل معنيين، معنى يتمثل في القوة الإنجازية الحرفية أي المحتوى القضوي للألفاظ وهو المعنى الحقيقي، ومعنى مجازي الذي تدل عليه القرينة "مالت"فلا نستطيع القول بأن الشمس تميل لذلك انتقلت من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي مقاميا، حيث أن الميلان يشبه الغروب للشمس.

ونجد أيضا:

قال ابن إسحاق: ثم قال مالك للناس: إذا رأيتهم فاكسروا جفون سيوفهم، ثم شدوا شدة رجل واحد.[2]

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج1، ص 278.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص 83.

في هذا الخطاب استعارة تتمثل في (جفون سيوفكم)، ويعد تعبيراً مجازيا، والمعنى المستلزم هنا هو أنه شبه السيوف بالإنسان الذي يمتلك الجفن فيستحيل أن تكون للسيوف جفون لذلك كان استخدام المجاز أكثر ملاءمة من المعنى الصريح.

ومثاله أيضا:

قصيدة بُجَير بن زهير في حنين والطائف: فلما انصرف الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن الطائف بعد القتال والحصار، قال بُجَير بن أبي سلمى يذكر حنين والطائف:

ترتد حَسْراناً إلى رَجْراجَةٍ شهْباءَ تَلْمَعُ بالمنايا فَيْلق.[1]

تتمثل الاستعارة في (تلمع بالمنايا) وهو تعبير مجازي، حيث إن المنايا لا تلمع فشبه المنايا بالشيء الذي يلمع كالألماس مثلا، وهو يعد المعنى المتضمن لهذه الاستعارة.

ونجد كذلك:

قال ابن إسحاق: ثم قال مالك للناس: إِذا رَأَيْتُمُوهُم فَاكْسِرُوا جِفُونَ سِيُوفِكُم، ثم شدّوا شِدّة رَجُل وَاحِد.

قال وحدّثني أُميّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدّث: أنّ مالك بن عوف بَعَثَ عيوناً من رِجَالِه، فَأتَوه وَقدْ تَفَرّقت أَوْصَالهم، فَقَال: وَيْلَكُم! مَا شَأنَكُم؟ فَقَالُوا: رَأَيْنَا رِجَالاً بِيضًا عَلى خَيل بُلق، فو الله مَا تماسَكنا أَنْ أَصَابْنَا مَا تَرَى، فو الله مَا ردّه ذَلِكَ عَن وَجْهِهِ أَن مَضَى عَلَى مَا يُرِيد.[2]

فالمعنى الحقيقي أو الصريح هنا هو بعث (عيونا من رجاله)، والمعنى المستلزم هو كناية عن المراقبة والتجسس فهو كنى عن الشيء ولم يصرح به، فاستخدمت لفظة " العين" في تعبير حقيقي إلى تعبير آخر مجازي.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج4، ص 83.

[2] المرجع نفسه، ن ص.

وقال ابن هشام: تقول العرب: هَاجَر وَآجر، فَيبْدِلُون الألف مِن الهَاء، كَمَا قالوا: هُراق الماء، وَأرَاق الماء، وَغَيْرُه، وَهاجَر مِن أَهْلِ مِصر.[1]

وما يمثل المعنى المجازي هو (هُراق الماء)، أي كناية عن سيلان الماء فانتقل المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي من خلال لفظة "هُراق".

مبادئ المحادثة:

نجد مبدأ التعاون قد تحقق في سيرة ابن هشام أثناء العملية التخاطبية بين المتكلم والمخاطَب، وورود قواعده الحوارية المتفرعة عنه.

1- مبدأ الكم (Quantity):

يخرق خطاب "ابن هشام" مبدأ الكم، لأن الإجابة تفوق القدر المطلوب للكلام وأكثر مما يتطلبه الأمر وقدر الحاجة.

ومن الأمثلة الواردة في سيرة "ابن هشام" التي تم فيها خرق لقاعدة كم الخبر كالآتي:

رؤيا ربيعة: قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤية هالته... فقال له الملك: وأبيك يا شقّ، إنّ هَذَا لَنا لَغَائظ مُوجَع، فَمَتى هُوَ كَائِن؟ أَفِي زَمَانِي، أَمْ بَعْدَه؟.

قال: لاَ، بَلْ بَعْدَهُ بِزَمَان، ثم يَسْتَنْقِذَكُم مِنْهُم عَظِيم ذُو شَان، وَيُذِيقُهُم أَشَدّ الهَوَان.[2]

وشِقّ: بن صعب بن يشكر، بن رُهْم، بن أفَرك، بن قَسر، بن عَبْقَر، ابن أنمار، بن نزار.

فمن الملاحظ في هذا الحوار عبارة عن سؤال وجواب تم فيه خرق قاعدة الكم فالإجابة هنا أكثر من المطلوب يستطيع أن يكتفي بقول: لا، بل بعده بزمان.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج1، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص 34.

ونجد أيضا:

قال ابن إسحاق: وحدّثني سعيد بن مينا أنه حُدّث: أن ابنةً لبشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتني أمّي عَمرة بنت رَواحَة، فأعطتني حفنةً من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بُنَيّة، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغَذائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال: «تعالي يا بُنَيّة، ما هذا معك»؟ قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثتني به أمّي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رَواحة يتغدّيانه... [1]

في هذا الخطاب حوار بين الأم وابنتها في إرسال ابنتها إلى أبيها وخالها بأخذ التمر لهما، وفي ذهابها دار حوار بينها والرسول –صلى الله عليه وسلم– ما هذا معك؟ فكان جوابها أكثر مما يتطلبه السياق، فإننا نجد أنه قد تم خرق قاعدة الكم، لأن الحديث تضمن زيادة في القول وهذا ما جعل الكلام بالزيادة عن القدر المطلوب.

2– مبدأ النوع (Quality):

إن استخدام الاستعارة في سيرة "ابن هشام " لا يعني ذلك أن خطاب ابن هشام بعيد عن الحقيقة، بل هناك كثير من الدلالات في الكلام لا تتضح إلا بالاستعارة التي تعرف بالإبداع في طريقة تأليف الألفاظ وتراكيبها وما تؤديه من صور الجمال وتقوية المعنى ومن الأمثلة التي تخرج عن الحقيقة إلى المجاز قوله:

كَادَتْ تُهَدُّ مِن الأصْوات رَاحِلتي إذَا سَالتِ الأرضُ بالجُرْد الأبَابِيلِ[2]

جاء في هذا المثال استعمال كلمة (سالت) في غير معناها الحقيقي على سبيل الاستعارة، فسيلان يكون للماء وليس الأرض أي شبه الأرض بالماء الذي يسيل.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق ، ج3، ص 170.

[2] المرجع نفسه، ص 67.

وجاء في قوله أيضا:

جَلاَّد عَلى ريب الحوادِثِ لاَ نَرَى عَلَى هَالك عَيْنا لَنَا الدَهْر تَدْمَع[1]

نلاحظ هنا في عبارة (لنا الدهر تدمع)، وضعت هنا في غير معناها الحقيقي على سبيل الاستعارة فشبه الدهر بالإنسان الذي تدمع عيناه وحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الدموع.

جوابهم للنبي عليه السلام حين دعاهم إلى الإسلام: قال: وَدَعا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– اليَهُود مِن أَهْل الْكِتَاب إِلَى الإِسْلاَم وَرَغّبَهُم فِيه، وَحَذّرَهُم عَذَابَ الله وَنَقْمَتَهُ؛ فَقَال لَهُ رَافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بَلْ نَتّبِع يَا مُحَمَد مَا وَجَدْنَا عَلَيْه آبَاءَنَا، فَهُمْ كَانُوا أَعْلم وَخْيرًا منا. فَأَنْزَل الله عزّ وجلّ فِي ذَلِك مِن قَوْلهمَا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾.[2]

يتمثل في هذا الحديث حوار بين الرسول –صلى الله عليه وسلم– واليهود في دعوة النبي عليه السلام وحث اليهود على الإسلام في توعيتهم وتنبيههم من عذاب الله عز وجل وعقابه، فما كان ردهم بقولهمْ "بَلْ نَتَّبع يا محمد مَا وجَدْنا عليه آبَاءنَا"، فاستلزم هذا القول اعترافاً غير مصرح به، وأن لا علاقة لهم بذلك إلا من باب تقليد وإتباع الأولين من آباءهم، فلم يكن ردهم بشكل ظاهر صريح وإنما بأسلوب غير مباشر.

3– العلاقة (Relation):

إن موضوع سيرة ابن هشام يتمحور حول سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وذكر الصحابة –رضوان الله عليهم– أخبار النبي –صلى الله عليه وسلم– الذين حافظوا عليها وكل ما يتعلق به.

[1] ابن هشام،السيرة النبوية، المرجع السابق،ج1، ص 320.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 193.

وبالنسبة للمقام نجد في مقدمة المحقق أنه قال: نرى ابن هشام يسترسل في سرد بعض الأنساب وإن كان المقام ليس مقام الأنساب، وكثيرا ما يأتي ذلك معترضاً لسياق الخبر، كما يقوم بشرح وتفسير بعض الألفاظ والمفردات في فقرات تعترض الخبر أيضا، وكذلك يفعل في الشعر.[1]

ونجد من الأمثلة التي تمثل الخروج عن السياق كالآتي:

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطُفَيل؛ فَطَعَنهُ بِالْرُمْح، فَوقَعَ فِي فَخِذَهُ، فَأشْوَاه، وَوَقعَ عَنْ فَرَسه، فَقَالَ: هَذَا عَمَل أَبِي بَراء، إِنْ أَمُت فَدَمِي لِعَمِيّ، فَلاَ يُتبعنّ به، وإن أَعِش فَسَأرَى رَأيي فِيمَا أُتي إليّ.[2]

نلاحظ في هذا الحديث لفظة"فأشواه" خروج المتكلم عن السياق والخرق الحاصل هنا لا يعنى ذلك عدم مراعاته لسياق الكلام وإنما لجعله مناسبا للمقام وأكثر مواءمة، ومما يزيد الدلالة قوة في المعنى.

4- مبدأ الصيغة (Manner):

نلاحظ في خطاب "ابن هشام" هناك عبارات أو مدلولات يعتمد فيها على التلميح دون التصريح أي عدم الوضوح.

ومن العبارات التي تم فيها ذلك نجد مثلا:

قال ابن إسحاق:...وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنه لا يأتي أحدا دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فَعَمدَ الرجُل إِلَى ابْنَه ذَلِكَ، فَوَضَعهُ فِي حُجْرَتَه، وَأَلْقَى عَلَيْه ثَوْباً ثم جَاءَهُ فَقَال لَهُ: يَا فيميون، إِنّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْمَل فِي بَيْتِي عَمَلاً، فَانْطَلِق مَعِي حَتَى تَنْظُر إِليه فَأُشَارِطُكَ عليه، فَانْطَلَق معهُ حتى دَخل حُجْرَتَهُ، ثم قال لَهُ: ما تُريد أَنْ تَعْمَل في بيتِك هذا؟ قال: كَذَا وكَذَا، ثم اِنْتَشَطَ* الرَجل الثَوب عَنَ الصَبيّ ثم قال لَهُ: يا فيميون، عَبْد مِنْ عِبَاد الله أَصابهُ مَا تَرى، فَادْع الله لَهُ؛ فَدعَا له فيميون؛ فَقَامَ الصَبيّ لَيْسَ بِه بَأْس.[3]

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج1، ص 8.

[2] المرجع نفسه، ج3، ص 141.

* انتشط الثوب: رفعه بسرعة.

[3] ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 47.

ومضمون هذا القول أن فيميون كان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة، يأتيه العبد إذا مسه الضر دعا له فشفي،فدار حوار بين ابن ضرير وفيميون في طلب عمل في بيته فكان رد الرجل ابن ضرير بكذا وكذا ففي هذا القول إجمال دون تفصيل وعدم الوضوح مما يترك للمتلقي باب التأويلات مفتوحاً.

ومما نجد أيضا عدم الإيجاز في الحوار الآتي:

...قالت أمّ سَلَمَة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مَالِي لا أرَى سَلَمة يَحْضُر الصلاة مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومع المسلِمين؟ قالت: والله مَا يَسْتَطِيع أن يَخْرج، كُلمَا خَرَج صَاحَ به الناس: يا فُرّار، فَرَرْتُم فِي سبيل الله، حتى قَعَدَ في بَيْتِهِ فَمَا يَخرج.[1]

نلاحظ في هذا الحوار خرق لقاعدة الصيغة لأن الإجابة التي قدمتها أم سلمة مسترسلة في الحديث، فكان باستطاعتها قول: والله ما يستطيع أن يخرج، هنا تكون إجابة موجزة وكافية.

وأما عن مبدأ التأدب نجد من قاعدة التودد في الحديث التالي:

قال ابن إسحاق: ثم بَعَثَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خالد بن الوليد، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سَنَة عَشْر، إلى بَنِي الحَارث بن كَعْب بن نَجْران وأَمَره أَنْ يَدْعُوهم إلى الإسلام قَبْل أن يُقَاتِلُهم ثَلاثاً، فَإنْ اِسْتَجَابُوا فَاقْبِل مِنْهُم، وإنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَقَاتِلْهُم، فَخَرج خالد حتى قَدِمَ عَلَيْهم، فَبعَثَ الرُكبان يَضْرِبُون فِي كل وَجِه، وَيَدْعُون إلى الإسلام، ويقولُون: أيُّهَا النَّاس، أَسْلِموا. فَأَسْلمَ النَّاس، ودخلُوا فِيمَا دُعوا إليه فَأَقَام فِيهِم خالد يُعلّمهم الإسلام وكتَاب الله وسُنَّة نبيّهُ –صلى الله عليه وسلم–، وبذلك كان أمرهُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إنْ هُمْ أَسْلَموا ولَمْ يُقَاتِلوا.[2]

نلاحظ في هذا الحديث، حث خالد ابن الوليد بني الحارث بن كعب على دخولهم إلى الإسلام وتقرب خالد بن الوليد منهم من خلال تعليمهم الإسلام وكتاب الله عز وجل وسنة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ونصحهم أيضا من خلال النداء يأيها الناس.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج4، ص 22،23.

[2] المرجع نفسه، ص 235.

ونجد أيضا من عبارات التخيير من قبيل السؤال والجواب التالي:

البراء بن معرور يُصلّي إلى الكعبة: قال ابن إسحاق: حدّثني مَعْبد كعب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن، أخو بني سلِمة، أَنّ أخَاهُ عبد الله ابن كعب، وكان مِنْ أَعلَم الأَنْصَار، وحدَثهُ أَنّ أَباهُ كعبًا حَدثهُ، وكان كعب ممن شَهَد العَقبَة وبَايعَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بهَا، قال: خَرجْنَا في حُجّاج قومنَا من المشركين، وقد صلّينَا وفقِهنَا، ومَعنَا البراء بن معرور سيّدنَا وكَبيرنَا، فَلمَا وجّهنَا لِسَفرِنا، وخَرجنَا مِنَ المدِينة، قال البراء لنَا: يا هَؤلاَء، إنّي قد رأيتُ رأياً، فَوالله ما أَدْري، أَتُوافقونِني عليه، أم لا؟ قال: قلنَا: وما ذَاك؟ قال: قد رأيتُ أن لاَ أَدعْ هذه البُنِيّة مني بِظهْرِ، يَعْني الكَعْبة، وأَنْ أُصلّي إليها.[1]

نجد من خلال هذا السؤال: أتوافقوني عليه، أم لا؟ ومن هذا يترك المتكلم للمتلقي حرية الاختيار في الموافقة أم لا وجعله يتخذ القرار بنفسه.

ونجد كذلك أيضا:

قال ابن إسحاق: ثم قال له: أَيُّهَا الملَك، غَلَبَتْنَا على بِلادنَا الأغربةُ فَقَال له كِسرى: أيُّ الأغربةُ: الحَبَشَة أم السَّنْد؟ فقال: بَلْ الحَبَشَة، فَجِئْتكَ لِتنصرِني، ويكون مِلْكُ بِلادِي لَكَ، قال: بَعُدَتْ بِلادُكَ مع قلّة خَيْرِهَا...[2]

كذلك نجد هنا ما بين الحبشة والسند، تتمثل في عدم إجبار المتلقي وتقييده وإعطاءه حرية الاختيار من قبل المتكلم أي عدم فرض المتكلم رأيه عليه.

استراتجيات مبدأ الوجه:

1. الاستراتيجية التصريحية:

وتتمثل هذه الاستراتجية في سيرة ابن هشام في ما يلي:

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج2، ص86.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 77.

إشراكهم بالله: قال ابن إسحاق: وأَتَى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– النّحّام بن زيد، وقرْدَم بن كعب، وبَحْريّ بن عمرو، فقالوا له: يَا مُحَمَد، أَمَا تَعْلَم مع الله إلهًا غيره؟ فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– : « الله لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ» بذلك بُعِثْتُ، وإلى ذلك أَدْعُوا. فَأَنْزل الله فِيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾.[1]

يتضح هذا الحوار من خلال طرح التساؤل التالي:" يا محمد، أما تعلم مع الله إلها غيره؟ فأجاب محمد –صلى الله عليه وسلم– بأن الله لا إله إلاّ هو فكان ذلك بشكل واضح ومباشر نجد الخطاب هنا استلزم الوضوح والأسلوب المباشر دون التباس وغموض من خلال السياق، ولعل ذلك يعود إلى قصدية التصريح لأهمية موضوع الحوار فلا يحتمل ذلك تصريحاً لأنها قضية توحيد.

ونجد أيضا:

أبو سفيان يشمت بالمسلمين: ثم إنّ أَبَا سُفْيان بن حَرب، حِين أَرَادَ الانْصِراف، أَشْرَف على الجَبَل، ثم صَرخَ بِأعلى صَوتِه فقال أَنْعمَتْ فِعال، وإنّ الحَرْبَ سِجَال، يوم بيوم، أُعْل هُبَل، أي أَظْهِر دِينَكَ؛ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:« قُمْ يَا عُمر فَأَجِبْهُ، فَقُل الله أعلى وأجلّ، لا سواء، قَتْلانَا في الجَنْة وقَتْلاكُم في النَار». فَلمَا أَجَاب عمر أَبَا سفيان، قال لَهُ أَبُو سُفيان: هلُمّ إليّ يا عُمر، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لِعُمر:« ائتِه فَانْظر مَا شَأْنُه؟»، فجاء، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدًا؟ قال عمر: اللّهم لا، وإنه لَيَسْمَع كَلاَمك الآن، قَالَ: أَنْتَ أَصْدَق عِنْدِي مِن ابن قَمِئة وأَبَرّ، لِقَول ابن قَمِئة لهم: إنّي قَد قَتلت محمدًا.[2]

يتبين في هذا الخطاب هنالك حوار جماعي يتمثل في ثلاث: بين الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وعمر، وأبو سفيان، فالملاحظ من ذلك أن إجابة عمر عن سؤال أبي سفيان صريحة وواضحة

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج 2، ص 209.

[2] المرجع نفسه، ج 3، ص 56.

والشاهد على ذلك قوله: "اللهم" لهذا لم تكن إجابته مضمرة تحتاج إلى تأويل وبذل أكبر جهد من قبل المتلقي.

2- استراتجية التأدب الإيجابي:

ومن عبارات التأدب الإيجابي في سيرة ابن هشام كالتالي:

...قال ابن إسحاق: وَكان فيما بَلَغني عَنْ عَكْرَمَة مَولى ابن عباس، أو عَنْ سَعِيد بن جُبير، عن ابن عباس: أَنْ يَهُودَ كَانوا يَسْتَفْتِحُون على الأَوس والخَزْرَج بِرَسُول الله -صلى الله عليه وسلم- قَبْل مبعثه، فلما بعثه الله مع العرب كفروا به، وجَحَدُوا مَا كَانوا يَقُولُون فِيه. فَقَال لهم مُعَاذ بن جَبَل. وبِشر بن البراء بن معرور، أخو بني سلمة: يَا مَعْشَر يَهُود، اتَقوا الله وَأَسْلِمُوا، فَقَد كُنْتُم تَسْتَفْتِحُون عَلَينا بِمُحَمد وَنحن أَهْل شِرْك، وتُخبرونَنَا أَنه مَبْعُوث، وَتَصِفُونه لنا بِصفته؛ فقال سلام بن مِشْكم، أَحَد بني النـضِير: ما جَـاءنا بِشـيء نَـعْرِفَه، ومَـا هُو بالذِي كُنّا نَـذكُرَه لَـكُم، فَـأَنْزَل الله فِي ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.[1]

يدور هذا الحوار بأن خطاب معاذ بن جبل وبشر بن البراء لليهود أنه كان خطاباً إيجابياً يحترم فيه كلٌ الطرف الآخر، لأن استعماله لذلك وضح ألفاظاً تقلل من حدة التهديد، ويدفع بهذا الوجه السلبي من خلال قولهما "اتقوا الله وأسلموا" وطلب من معشر اليهود الدخول إلى الإسلام لذلك كان التعامل معهم بألفاظ إيجابية وجالبة ومما يبعد ذلك استخدام العنف والتهديد لهذا السياق.

3- استراتجية التأدب السلبي:

ونجد هذه الاستراتجية في سيرة ابن هشام من مثل ما يلي:

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج2، ص 188،189.

دخول أبي بكر بيت المدارس*: وَدَخَل أبو بكر الصِّدِّيق بَيْتَ المدَارِس عَلَى يَهُود، فَوَجَدَ مِنْهُم نَاسًا كثيراً قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَى رَجُل مِنْهُم، يُقَالُ لَهُ فِنْحَاصْ، وكَانَ مِنْ عُلَمَائِهم وأَحْبَارِهم، وَمَعهُ حبْرٌ من أحْبَارِهم، يُقَالُ لَهُ أشيع؛ فَقَال أبو بكر لفِنْحَاصْ: وَيحكَ يا فِنْحَاصْ! اِتَّقِ الله وأَسْلِم، فو الله إنَّك لَتَعلم أنّ محمداً لَرسُول الله، قْد جَاءَكُم بِالْحقّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجدُونَه مكتوبًا عِنْدَكُم فِي التَوْرَاة والإنْجِيل...[1]

يتبين في هذا الخطاب حوار بين أبو بكر الصديق ورجل اسمه فِنْحَاصْ من أحبار يهود ويتمثل مضمون هذا الحديث في تحذير وطلب من فِنْحَاصْ دخوله إلى الإسلام ودليل ذلك قوله: "ويحك يافِنْحَاصْ"و"اتق الله وأسلم" فاستلزم استخدام هذا الأسلوب أو الخطاب خوفا من عقاب الله عزّ وجل وعواقب ذلك إن لم يتق الله ويُسلم فكان بوجه جالب للمستمع وتلطُّف من الأثر التهديدي لهذا السياق.

4- استراتجية التلميح:

ونجد من ذلك ما يلي:

رؤيا ربيعة: قال ابن إسحاق: وكَانَ ربيعة بن نصر ملك اليمن بَيْن أَضْعَاف مُلُوك التَبابِعَة، فَرَأى رُؤْيَاَ هَالَتْهُ وَفَظعَ بِها، فَلَمْ يَدعْ كَاهِناً، ولاَ سَاحِراً، ولاَ عَائِفاً،ولَا مُنْجّماً مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتهُ إلاّ جَمعَهُ إلَيهِ، فَقَال لَهُمْ: إنيّ قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَاَ هَالَتْنِي، وَفَظَعْتُ بهَا؛ فَأخْبرُونِي بهَا وبِتَأوِيلهَا، قَالُوا: اقْصُصْهَا عَلَيْنَا نُخبِرْكَ بِتَأوِيلهَا. قَالَ: إنِّي إنْ أَخْبَرتُكُمْ بِها لمْ أَطْمَئَنّ إلَى خبرِكُم عَنْ تَأوِيلهَا، فَإنهُ لَا يَعْرِفُ تَأوِيلهَا إلّا مَنْ عَرَفهَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَهُ بها. فَقَال لَهُ رَجُل مِنْهُم: فَإنْ كَانَ الملِك يُرِيدُ هَذَا فَلْيَبْعَثْ إلَى سَطِيح وشقٍّ، فَإنَهُ لَيْسَ أَحَد أَعْلَم مِنْهُمَا، فَهُمَا يُخبِرانه بِما سَأَل عَنْهُ.[2]

يظهر في هذا الخطاب نوع من التلميح، فهذا الحوار يوضح لنا رؤيا ربيعة التي هالته ولم يرتح لها فأراد تأولها فهو لم يصرح بما رأى في رؤيته، ولكنه لمح ربيعة بن نصر من خلال قوله: لم أطمئن إلى خبركم

* بيت المدارس: البيت الذي يدرس فيه اليهود كتابهم والمدارس من يدرّس لهم.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص200.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 32،31.

عن تأويلها فكانت بأسلوب غير مباشر تاركا للمتلقي تأويل وتفسير ذلك، أي معنى مستلزم ولذلك لفهم قصد المرسل يجب أن يكون الخطاب مرهوناً بالسياق لكي يؤدي الفهم المقصود أو تلميحا يفهم من سياق الكلام.

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدثنا عبد الله بن زيد البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ، قال ثم عزا أبو سفيان بن حرب غزوة السُّويق في ذي الحجّة، وولي تلك الحجّة المشركون من تلك السَنَة، فَكَان أبو سفيان كَمَا حَدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، ويزيد بن رُومان، ومَنْ لاَ أتّهم، عَنْ عبد الله بن كعب بن مالك، وكَانَ مِنْ أَعْلم الأنْصَار، حِينَ رَجَع إِلىَ مَكَة،...حتى نَزلَ بِصَدْر قَنَاة إِلىَ جَبَلْ يُقَال لَهُ: ثيب، مِن المدِينَة عَلىَ بريد أَوْ عَلىَ نَحْوه، ثُم خَرَجَ مِنَ اللّيْل، حتى أَتَى بني النّضير تَحْتَ الليلِ، فَأتَى حُيَيّ بن أخطب، فضَربَ عَلَيْهِ بَابِه، فأَبى أَنْ يَفْتَح لَهُ بَابَهُ وخَافَهُ...[1]

ونلاحظ في هذا الحديث التعبير المجازي في قوله: "تحت الليل" فهذا القول وضع في غير معناه الأصلي الذي نفهم منه الدلالة الطبيعية المعتادة ولعل يقصد بها نصف الليل أو آخره، فهي طريقة يستعملها المرسل للتلميح إلى شيء ما، وهو ما نفهم منه الدلالة غير الطبيعية أو الدلالة المستلزمة، فاستخدام هذه الطريقة أبلغ من الأساليب التصريحية الأخرى التي يعتمد عليها في بعض الخطابات.

5- استراتجية الصمت:

ومن ذلك نجد في الخطاب التالي:

من أمر النبي بقتلهم: قال ابن إسحاق: وكان الرسول الله –صلى الله عليه وسلم– قد عهِد إلى أُمَرَائِه من المسْلِمين، حيث أَمَرَهم أَنْ يَدخُلوا مكة، أَنْ لَا يُقاَتلوا إِلَّا مَنْ قاَتَلهم، إلا أَنهُ قد عهِد في نفَر سمّاهم أمر بِقْتلِهم وإِنْ وُجدوا تحت أَسْتار الكَعْبة، منهم عبد الله بن سَعد، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج3، ص6.

وإنّما أمَر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بِقتلِه لأَنهُ قد كاَن أَسْلَم، وكان يَكْتُبُ لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– الوحِي، فَارْتدّ مُشركاً راجعاً إلى قريش، فَفَرّ إلى عثمان بن عفان، وكان أَخَاهُ للرضَاعَة، فغيّبه حتى أُتي به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد أَنْ اطْمَأنّ النَّاس وأَهْل مَكَة، فَاسْتَأمَن لَه. فَزَعَمُوا أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صَمَتَ طويلاً، ثم قال: «نعم»، فَلما انصَرَف عنه عثمان، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لمن حَولهُ من أصحابه: « لقد صمتُّ لِيقُوم إليه بَعْضُكُم فيَضْرب عُنقه». فقال رَجُل من الأنْصَار: فهلاّ أومَأْتَ إليَّ يا رسول الله؟ قال:«إنّ النّبي لا يَقْتُل بالإشَارة».[1]

يتضح في هذا الخطاب أمر الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، فكان صمت الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن قصد ولم يتلفظ بخطابه لكي يفهم من حوله، فهذه الاستراتجية في الحوار لها دور أساسي في عملية الخطاب والتواصل حيث أن للكلام الملفوظ به قصداً مثلما للصمت قصد يحمل دلالات معينة تتعدد بتعدد السياق، فاختيار هذا الأسلوب أي الصمت يقلل من نسبة تهديد الوجه.

مبدأ التأدب الأقصى:

أما مبدأ التأدب الأقصى فنجد قواعده المتفرعة عنه واردة في سيرة ابن هشام، فقد كانت حاضرة في بعض الحوارات، وأكثر القواعد حضورا هي قاعدة اللباقة التي تعد أهم مبدأ من مبادئ التأدب الأقصى سنرى ذلك في الأمثلة التالية:

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال: كَان عُمر بن الخطاب –رضي الله عنه– اسْتَعْمَل سَعِيد بن عَامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ على بعض الشام، فَكَانَت تُصيبه غَشية، وهو بين ظَهرْي القَوم، فَذكر ذَلك لِعمر بن الخَطّاب، وقِيل: إنّ الرَجُل مُصاب، فَسَألَه عمر في قدْمة قدِمها عليه، فقال:

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج4، ص 51.

يا سعيد، مَا هذَا الذي يُصِيبكَ؟ فقال والله يا أَمِير المؤمنين مَا بِي من بَأَسْ ولكنّي كُنْتُ فمن حَضَر خُبيب بن عديّ حين قُتل، وسَمِعْتُ دَعْوتَهُ....[1]

يحمل هذا الحديث حواراً بين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وسعيد بن عامر، وفي قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: ما هذا الذي يصيبك؟ فهو سؤال عن حال الذات (سعيد)، والسؤال هنا استلزام جواب سعيد والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، فكان رده وخطابه عبارة عن تأدب في الأسلوب وحسن الكلام ولطيف التعبير لعلو مكانة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–.

ونرى أيضا في المثال التالي:

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يَسَار، عن أَشْيَاخ مِنْ بني سَلِمة: أَنّ عَمْرو بن الجَمُوح كان رجلاً أَعْرجَ شَدِيد العَرَجِ، وكان لهُ بَنُون أربعة مثل الأسْد، يَشْهَدون مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المشَاهد، فلما كان يوم أُحُد أَرَادُوا حَبْسَه، وقالوا له: إِنّ الله عزّ وجلّ: قد عَذَرَكَ، فَأَتَى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال: بنيَّ يُريدون أَنْ يحبسُوني عَنْ هذَا الوِجه، والخُروج مَعكَ فيه، فوا الله إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعرجَتي هذه في الجَنْة؛ فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:«أَمَا أنت فَقَدْ عَذَرك الله فَلا جِهَاد عَلَيْكَ»، وقال لِبَنيه: «ما عَليكُم أن لَا تَمنعُوه لَعَل الله أَنْ يَرزقه الشَهَادة»، فَخَرج معه فقُتل يوم أُحُد.[2]

يمثل هذا الحديث حواراً بين الرسول –صلى الله عليه وسلم– وعمرو بن الجموح فمضمون هذا الخطاب هو إلحاح الجموح للخروج مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى الجهاد، فا ستعمل خطاباً كالتمني من خلال قوله: فوا الله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فهذا يوضح لنا أنه يريد الخروج في سبيل الله عز وجل والفوز بالجنة ولكنه لم يصرح بذلك فاستلزم السياق قوله: فوا الله إني لأرجو، فأقسم بالله تعالى لأنه يريد إقناع الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالخروج، وهذا يدل على أجود الكلام وأكثر تأدباً وأعلاها لباقة.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج3، ص 128.

[2] المرجع نفسه، ص 53.

ومن قاعدة الاستحسان نجد أيضا في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم–:

قال ابن إسحاق:وقال عبد الله بن الزبعرى أيضا حين أسلم:

وعليك من عِلْم المليك علامة نـورٌ أغـرُّ وخـاتم مختـوم

أعطاك بعد محبّةٍ برهانَه شَـرَفاً وبُرْهان الإله عظيـم

ولقد شَهِدت بأن دينَكَ صادقٌ حقٌّ وأنك في العباد جسيم

والله يشهد أنّ أحمد مُصْطفىً مُستقبـل في الصالحين كريم

قَرْم علا بُنيانه من هاشم فَرْع تمكـن في الذُّرا وأُرُوم[1]

وقال ابن هشام أيضا: وكانت صِفَة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: فيما ذَكَر عمر مولى غفرة، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب:...وهُو خَاتَم النَبيّين؛ أَجْودَ النّاس كَفًّا، وأَجْرأُ النّاس صدْراً، وأَصْدقُ النّاس لَهَجَةً، وأَوْفَ النّاس ذِمّة، وأَلْينهم عَرِيكةً، وأكرمهم عِشْرةً،من رآه بَدِيهَةً هَابهُ، ومن خَالطهُ أحبّه، يقول ناعتُهُ: لم أَرَ قَبْلهُ ولا بعدهُ مِثلهُ، –صلى الله عليه وسلم–.[2]

يتبين من خلال ما سبق ذكره أخلاق وصفات خير البَرِية بالصادق الأمين وخاتم النبيين و المرسلين وأشرف الخلق أجمعين، ويا أعظم الخلق وأطهرهم،إذ جئت لتملأ القلب إيمانا والنفس يقينا والكون عدلا والعقل حكمة، ولكن تقف الكلمات عاجزة عن التعبير بأخلاقه وصفاته.

ومن مثل ذلك نجد:

قال ابن إسحاق: حدثني الزُهري، عن عُروة، عن عائشة –رضي الله عنه–ا قَالتْ: فقال ابن الدَّغنة: أين يا أبَا بَكر؟ قال: أَخْرجَني قومِي وآذُوني، وضيّقوا عليّ؛ قال: ولِمْ؟ فوالله إنّك لَتَزينُ العَشِيرة، وتُعِين على النَوائِب، وتفعلُ المعرُوف، وتَكْسِب المعدُوم، ارجع فأنت في جِواري. فرَجَع معهُ، حتى إذا دَخلَ

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق ،ج 4، ص 62،61.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 52،51.

إلى مكة، قاَم ابن الدّغنة فقال: يا مَعْشَر قريش، إنّي قد أَجَرْت ابن أبي قُحافة، فلا يعرضنّ له أَحَد إلا بِخير. قالت فكفّوا عنه.[1]

يمثل هذا الحديث حواراً بين ابن الدّغنة وأبي بكر، وكان ابن الدغنة يومئذ سيد الأحابيش، والأحابيش هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كِنانة، فالتقى أبو بكر مع ابن الدغنة وحكى له ما يشعر به مما لحقه من قومه من أذى، فاستلزم السياق تعاطف ومدح ابن الدغنة لأبي بكر في قوله: فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب أي المصائب أو الحوادث...، وتأكيده على ذلك "القسم بالله" وهذا يدل على أن أبا بكر شخص طيب القلب والأخلاق وكان شديد التواضع في تعامله مع الناس.

ونجد من الاختلاف ما يتمثل في:

سؤال اليهود الرسول، وإجابته: قال ابن إسحاق:

...قالوا :فَأخْبرنَا عن الرُوح ؟ قال :«أَنْشَدكُم بالله وبِأَيَامِه عندَ بني إِسْرائِيل، هَلْ تعلمُونه جبريل، وهو الذي يَأْتِيني»؟ قالوا: اللَّهُم نَعم، ولكنّه يا محمد لَنَا عدوّ، وهو مَلَك، إنّما يأتي بالشدّة وبِسَفْكِ الدِمَاء ولولاَ ذلك لاتّبعناك...[2]

يمثل هذا الحديث حواراً بين الرسول –صلى الله عليه وسلم– واليهود فالملاحظ من ذلك اختلاف اليهود في جبريل عليه السلام بالنسبة لهم عدو ولكنه ملك فمن هذا الاختلاف ينتج عنه عدم الاتفاق.

ومن الجمل التي ورد فيها التعاطف كالآتي:

إجلال عبد المطّلب له –صلى الله عليه وسلم–: قال ابن إسحاق: وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مَع جدّه عبد المطّلب بن هاشم، وكان يُوضَع لِعبد المطّلب فراش في ظِلّ الكَعبة، فَكان بَنُوه يَجلِسون حَولَ فِراشهُ ذلك، حتى يَخرج إليه، لا يَجلِس عليه أَحْد من بَنِيه إجلاَلاً له، قال: فكان رسولُ

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق ، ج2، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 185.

اللهِ–صلى الله عليه وسلم– يَأتي، وهو غُلام جَفْر، حتى يَجلِس عليه، فيأخّذهُ أَعْمامهُ، لِيؤخروهُ عنه، فيقول عبد المطّلب– إذا رَأى ذلك منه: دَعُوا ابني، فوا اللهِ، إنَّ له لشأنًا، ثم يُجلسه معه على الفِرَاش ويمسحُ ظَهرهُ بيدهِ، ويسرّهُ ما يراهُ يَصْنعُ.[1]

يبين هذا الحديث حال الرسول –صلى الله عليه وسلم– مع جده عبد المطلب بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنيين من عمره الذي أظهر له العطف والحنان والود في مثل قوله: دعوا ابني، فوا لله، إن له لشأنًا، ثم يجلسه معه على الفراش...

ونأتي الآن لمبدأ آخر ألا وهو مبدأ التصديق الذي وضعه طه عبد الرحمان في كتابه: "اللسان والميزان ص249 " وهو يعني ربط القول بالفعل ومثال ذلك كالآتي:

قصيَّ يفصل عبد الدار على سائر ولده: قال ابن إسحاق: فلما كَبُر قُصَيّ وَرَقّ عَظْمهُ، وكان عَبْد الدَار بِكرَه، وكان عبْدَ مَناف قد شرُف في زمَان أَبيه، وذَهَب كُلَ مَذْهَب، وعبْد العُزّى وعبد*. قال قُصيّ لِعبَدَ الدَار: أَمَا والله يا بُني لأُلحِقَنّك بالقَوم، وإن كانُوا قد شَرُفوا عليْكَ: لا يَدخُل رَجُل منهم الكَعْبة، حتى تكون أَنتَ تَفْتحُها له، ولا يَعْقدُ لِقريش لِوَاء لحَرْبَهَا إلّا أنت بِيَدكَ، ولا يَشْرَب أحدٌ بمكة إلاّ مِنْ سَقِايتكَ، ولا يَأكُل أحدٌ من أهْلِ الموسِم طعامًا إلاّ مِنْ طَعامِكَ، ولا تَقطعُ قريش أمرًا من أمُورهَا إلاّ في دَاركَ، فأعطَاهُ دَاره دَار النَدْوة، التي لا تَقْضِي قريش أمرًا من أمُورها إلاّ فيها، وأعطَاه الحِجَابة واللِواء والسِقَاية والرَفَادة.[2]

الرفادة : هي أموال تخرجها قريش في كل موسم لصنع الطعام للحجاج.

يدور هذا الحديث بين قصيّ وابنه عبد الدار،إذ كان ما ذكره قصي لابنه كان صادقا فيه قولا وفعلا فمثلا في وعده لابنه عندما أعطاه داره دار الندوة وينبني هذا القول على جانب تبليغي يتمثل في القول، وجانب آخر يتمثل في تطبيق القول.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق ، ج1، ص 194.

* عبد: هكذا وجدت في السيرة.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 148،147.

ومن بين عناصر الاتصال التي تمثل مدى نمو وتدرج النص بها منها التأثيرية التي وردت في سيرة ابن هشام فهي تعد معياراً أساسيًّا في الخطاب فنجد من مثل:

في أَمَر اليهود المؤمنين بالبُخل: قال ابن إسحـــاق: وكان كَرْدَم بن قيس، حليفُ كعب بن الأشرف، وأسـامة بن حَبِيب، ونَافع بن أبي نافع، وَبَحْريّ بن عمرو، وحُييّ بن أَخْطَـب، ورفـاعة بن زيد بن التابوت، يَأْتُون رجالاً من الأنصَار كانوا يُخَالطُـــونهم، يَنْتصِحُـــون لَهم، من أَصحـــاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيقـولـون لهم،: لا تُـــنْفِقـــوُا أَمْـوالَكم فإنّا نَخَـشى عَليكـــم الفَـقـر فـــي ذَهـَابهَا ولا تُسَـــــارِعوا فـي النَـفَـقَـة فَـإنّكم لاَ تَـدْرُون علام يكـون. فأنـــــزل الله فيهـــم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾.[1]

يظهر في هذا الحديث حوار بين اليهود والمؤمنين الذي يتمثل في حثّ اليهود للمؤمنين بعدم إنفاق أموالهم خشية الفقر والاحتياج مثلما في قولهم: "لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر" فكان هذا للتأثير عليهم عن طريق استخدامه أسلوب النهي، فاستعمالهم لذلك هو عبارة عن تواصل لغرض الإرشاد وهو ما يتوافق مع الأمر الذي يقصد به التحريض وإقناعهم بعدم التصدق بأموالهم وتوظيفهم التعبيرات القوية التي تؤدي إلى التأثير على المتلقي وقدرة التواصل.

ونجد أيضا ورود أسلوب (الأمر) الذي يعد من أهم الأساليب المستخدمة، فهو أسلوب يحمل مقاصد متعددة كالنصح والإرشاد والتهديد...الخ نحو ما يلي:

أمر بني قَيْنُقاع قال: وقد كان فِيمَا بين ذَلك، مِنْ غَزو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمر بني قَيْنُقاع، كان مِنْ حَدِيث بَنِي قَيْنُقاع أنّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم– جَمَعهُم بِسُوق بَني قَيْنُقاع ثم قَال:«يَا مَعْشَر يَهُود، احَذروا من الله مِثْل ما نَزلَ بِقُريش مِنْ النِقْمَة، وأسلِموا، فإنّكم قد عَرفْتُم أنّي نبيّ مُرْسَل، تَجِدُون ذلك في كِتَابِكم وعَهد الله إليكم »؛ قالوا: يا محمد، إنَّك ترى أنّا قومك؟! لا

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج2، ص 201.

يغرنَّك أنّك لَقِيت قومًا لا عِلم لَهُم بالحرب، فَأَصَبْت منهم فرصة، إنّا والله لئن حَارَبَناك لتعلمنّ أنّا نحن النَّاس.[1]

نلاحظ من خلال هذا الحوار أمر الرسول –صلى الله عليه وسلم– في قوله: "أسلموا" عبارة عن طلب غرضه الحث والإرشاد فالرسول –صلى الله عليه وسلم– يقنع هؤلاء اليهود ويحذرهم من عقاب الله عز وجل عن طريق التأثير عليهم بالرجوع والهداية لله عز وجل فهذا الجالب التأثيري يجعل كلاً من المرسل والمرسل إليه على اتصال في الحدث الكلامي وجعله عنصرا فاعلا في النص.

ونرى أيضا من الوسائل المستخدمة في التأثير (الاستفهام) الذي يعد وسيلة مهمة في التأثير عن طريق السؤال كما في التالي:

قال ابن إسحاق: حدّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن مُعاذ، عن أبي سفيان، مولى ابن أبي أحمد... قال الحُصَين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف شأن الأصَيْرِم؟ قال كان يأَبى الإسلام على قَومَه. فَلما كان يَوم خَرَجَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى أحُد بَدا له في الإسلام فَأَسلَم، ثم أَخَذا سَيْفهُ، فَعَدا حتى دَخلَ في عرض النّاس، فَقَاتَل حتى أَثْبَتتهُ الجِرَاحة.وقال: فَبَيْناَ رِجَال من بني الأَشْهَل يَلْتَمِسُون قَتلاَهم في المعْرَكَة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأُصَيْرِم، ما جاء به؟ لقد تَرَكْناَه وإنّه لمنْكَر لَهذا الحَدِيث، فَسَألُوه ما جَاءَ به؛ فَقَالوا: مَا جاء بِكَ يا عُمرو؟ أَحَدَبٌ قَومَكَ أَمْ رَغْبَة في الإسلام؟ قال: بَلْ رَغْبَة في الإسلام، آمنتُ بالله وبرسولهِ وَأَسْلَمتُ...[2]

إن توظيف الاستفهام هنا في هذا الحديث يقوم على جذب انتباه القارئ ويجعله حريصا على تشويقه إلى ما يريد المتكلم إيصاله ومدى استجابة المتلقي لهذا النص، فالاستفهام يعد عنصراً مهماً في التأثيرية حتى يجعل المتكلم على اتصال بالمتلقي وجعله مشدودا إليه.

وقد وردت في سيرة ابن هشام عنصر الفعالية يعتمد في الخطاب لكي تتم عملية الاتصال بأسهل ما يمكن وأقل جهد.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج 3، ص 9.

[2] المرجع نفسه، ص 52،53.

الحوار الذي دَار بين المهاجرين والنجاشي: قالت (أم سلمة): ثم أَرْسَل إلى أَصْحَاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم– فَدَعَاهُم، فلما جَاءهُم رسوله اجتَمَعُوا،ثم قَال بَعْضَهُم لِبعض: مَا تَقولُون للرجل إذا جِئْتُمُوه؟ قالوا: نَقُول والله ما علّمنَا، وما أَمَرنَا به نّبينا –صلى الله عليه وسلم–كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جَاءوا، وَقَدْ دَعَا النجاشي أَسْقَافَه، فَنشَرُوا مَصَاحِفَهُم حَولَه سَألَهم فقال لهم: ما هذَا الدِين الذي قَدْ فَارَقْتُم فيه قَومَكم، ولم تَدخُلُوا في دِينِي، ولا في دِين أَحَد هذه الملَل؟ قَالَتْ: فَكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أَيهَا المِلك، كنّا قومًا أَهْلَ الجَاهلية، نَعْبدُ الأَصْنَام، ونَأكلُ الميتة، ونَأتِي الفَواحِش، ونَقْطَع الأَرحَام، ونُسيء الجِوار ويَأكُلُ منّا القويّ الضَعِيف، فكنّا على ذلك حتّى بَعَثَ الله إلينَا رسولاً منّا، نَعْرِف نَسَبهُ وصِدْقَه وأَمَانَتَه وعفافهُ...[1]

يمثل هذا الحوار عبارة عن تفاعل بين المهاجرين والنجاشي فقد كانت لغة هذا الخطاب الذي دار بينهم واضحة من حيث أسلوبها ومضمونها مثلما ورد في قولهم: كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، نأتي الفواحش لكن جاءنا رسولٌ أخرجنا من الظلمات إلى النور، ملأ القلوب إيمانا والنفوس راحتا والعقول حكمة وإبعادهم عن سوء الأخلاق، فقد كانت هذه الجمل سهلة المفردات والتراكيب ووردت في شكل متوازٍ لأنها عبارة عن جمل لا بالطويلة ولا بالقصيرة أكثر مما يتطلبه السياق وهذا ما يؤدي إلى فعالية الخطاب ويجعله سهلا ميسورا على المتلقي.

وكذلك أيضا :

قال ابن إسحاق: ثم إِنَهم عَدوا على مَنْ أَسْلَم، واتّبع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من أَصْحَابه، فَوثَبت كُل قَبِيلَة على مَنْ فيهَا من المسلِمين، فَجَعلُوا يُعذّبونهم ويَحبسُونهم بالضَرب والجُوع والعَطَش، وبرَمضَاء مَكَة إذا اشتدّ الحرّ، من استُضْعِفوا منهم يَفْتنُونهم عن دِينهِم، فَمِنهُم من يُفتن من شدّة البَلاء الذي يُصبه، ومنهم من يُصلَب لهم ويَعْصِمهُ الله منهم. [2]

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، المرجع السابق، ج1، ص 361، 362.

[2] المرجع نفسه، ص 344.

يتضمن هذا الحديث حواراً بين المشركين والمستضعفين من المسلمين فكان عدوان المشركين على من أسلم بالتعذيب والقهر، ولهذا نلاحظ هناك أحداثاً ذات أثر قوي في النفس من خلال الأسلوب واللغة مما يجعل الأمر أكثر فعالية وتقبله ومدى استجابته للمتلقي.

ومما نجد أيضا من ديناميكية الاتصال في سيرة ابن هشام الملاءمة التي تعد عنصرا مهماً وأساسيًّا في النص وسنرى ذلك في المثال الآتي:

قال ابن إسحاق: ومرّ شَاس بن قيس، وكان شَيخاً قد عَسَا*، عَظِيم الكُفر شَدِيدَ الضَغن على المسلِمين، شَدِيد الحَسد لهم، على نَفَر من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الأَوس والخَزْرج في مجلِس قد جَمعَهُم، يَتَحَدّثُون فيه، فَغاظَه ما رأى ألْفَتَهم وجمَاعتهم، وصَلاح ذات بينهم على الإسلام، بعدَ الذي كان بَينَهم من العَدَاوة في الجَاهِلية.[1]

يمثل هذا الحديث حقد شاس وحسده على المسلمين، إذ نجد توفيق وملاءمة بين مفردات هذا الحديث مثل قوله: شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، فمصطلح الضغن يقابل مصطلح الحسد كأنه مَثَل للشيء وشبيهه، ومن المعروف بأن الحسد ما هو إلا حقد وعداوة وبغضاء وهذا ما يؤدي إلى انسجام النص وتحقيق الموازنة بين مفرداته وتراكيبه.

ونجد كذلك:

ما دار بين الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأبي طالب: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث: أنّ قريشاً حين قَالوا لأبي طالب هذه المقالَة، بَعَثَ إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال له: يا ابن أَخِي إنّ قَومكَ قد جَاءوني، فقالوا لي كَذَا وكَذَا، للذي كَانوا قالوا له فابقِ عليَّ وعلى نَفْسِك، ولا تحمِّلني من الأَمْر مَا لا أطيق؛قال: فقال: فَظَن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– أَنّه قد بَدا لعمّه فيه بَداء* أَنَه خَاذلَه ومُسلِمه، وأَنه قد ضَعُفَ عن نُصرته

* عسا الشيخ: كبر.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص 196،197.

* بداء: أي أظهر له رأي فسمي الرأي بداء.

والقيام مَعَه. قال: فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «يا عمّ، واللهِ لَو وضَعُوا الشمس في يَمِيني، والقَمَر في يَسَاري على أَنْ أَترُك هذا الأَمْر حتى يُظهره الله، أو أهلكَ فيه ما تَرَكْتهُ ».[1]

يتضح هذا الحوار في بيان الرسول –صلى الله عليه وسلم– دين الله والدعوة إليه فقد كان قوم قريش ينهون على ذلك ويشكون أمره إلى عمه أبي طالب لكن الرسول –صلى الله عليه وسلم– كانت غايته تحميل الرسالة وتبليغها لخلق الله عزّ وجل، وإصراره بعدم ترك هذا الأمر ودليل ذلك قوله: "يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر"، وهذا ما يؤكد قوة وتحمل النبي –صلى الله عليه وسلم– ما يريد إبلاغه.

إذ تتناسب مفردات هذا الحديث فيما بينها مثل "الشمس والقمر" نجد استخداما ملائما للروابط بين المفردات مثلا الرابط هنا كالواو، مما يؤدي إلى فاعلية هذا الخطاب وإحداث تأثير معين في المتلقي.

وبناء على ما سبق إن نظرية الاستلزام الحواري قائمة على فكرة الحوار أو المحادثة وكيفية الأداء الحواري بين أطراف العملية التخاطبية (المتكلم – المتلقي– الخطاب أو الرسالة)، فالسيمة الأساسية لهذه النظرية هي البحث عن المعنى مما يؤدي ذلك إلى تأويلات دلالية تحمل معاني ظاهرية وأخرى باطنية ينتج عنه فعل تواصلي مباشر وفعل تواصلي غير مباشر.

وكما لاحظنا في خطاب ابن هشام أنه قائم على الحوار كما وجدت قواعد التخاطب والمبادئ بغية حصول التواصل ومما لوحظ أيضا هناك حوارات تتمثل في حوار ثنائي وثلاثي وأكثر من ثلاثي أو الجماعي فقد كان الاعتماد على الحوار الثنائي أكثر من الحوارات الأخرى.

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 299.

خاتمة

تعتبر التداولية علم لساني جديد يدرس اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة لنجاح العملية التواصلية بين المرسل والمتلقي، وإن دراسة المعنى التواصلي هو الأساس الذي تسعى إليه التداولية مما يسهم ذلك في جعل الخطاب رسالة تواصلية ناجحة.

فالتداولية إذن علم تواصلي يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ومما يساعدها على ذلك عدة مجالات مختلفة تستمد منها معارضها مما جعلها مجالاً رحباً واسعاً في معالجتها وتفسيرها للغة.

ويعد الاستلزام الحواري ظاهرة من ظواهر الدرس التداولي الذي له قواعده ومبادئه في عملية التخاطب وتحقيق التواصل، ومن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث نجملها في النقاط التالية:

- تعدد ترجمات مصطلح البراغماتية إلى العربية لتتضمن مصطلحات عدة منها التداولية والتخاطبية والاستعمالية وغيرها إشكالية المصطلح في الدرس اللغوي العربي.
- يعتبر الاستلزام الحواري من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية.
- لقد ظهر ما يسمى بالاستلزام عند العرب القدامى تحت مسميات عديدة، وقد تنبهوا لذلك إلا أنه لم يكن بهذا المصطلح أو المفهوم يختلف باختلاف التخصص.
- لقد شغلت قضية المعنى كثيراً من العلماء قديما وحديثا، وبحث في جوانبها المختلفة فلاسفة وأصوليون وبلاغيون.
- يعود الفضل في وضع مصطلح الاستلزام الحواري إلى الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس"، ووضعه لأربعة مبادئ جعلها ظابطة لكل حوار يحكمها مبدأ عام هو "مبدأ التعاون".
- ينطلق غرايس من فكرة أن جمل اللغات الطبيعية تدل في أغلبها على معان صريحة (ظاهرية) وأخرى ضمنية (باطنية) تتحدد دلالتها داخل السياق الذي وردت فيه وهذا ما يسمى بالاستلزام الحواري.
- إن المعنى الصريح تدل عليه العبارة اللغوية بلفظها، وأما المعنى المستلزم تدل عليه العبارة اللغوية باستعمالها في موقف تواصلي معين (السياق).

- إن الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم يتم بخرق أحد مبادئ التعاون في الحوار، لأن مبدأ التعاون يشكل العمود الفقري لنظرية غرايس، وهذا ما وجدناه بكثرة في سيرة ابن هشام.
- إن مفهوم الاستلزام الحواري له علاقة بمفهوم القوة الإنجازية فهي تنقسم إلى قوة إنجازية حرفية التي تتمثل في المعاني الصريحة، ومعاني إنجازية مستلزمة التي تتمثل في المعاني الضمنية وكانت حاضرة في بعض خطابات سيرة ابن هشام، فهناك دلالات مصرح بها وهناك دلالات أخرى غير مصرح بها كالتلميح التي تتمثل في المعاني المستلزمة.
- تعد عملية التواصل قائمة على مبدأ عام الذي يلعب دوراً أساسياً في نجاح العملية التواصلية ألا وهو مبدأ التأدب الذي كان واضحا في خطاب ابن هشام خاصة في الحوارات مع الرسول –صلى الله عليه وسلم–.
- يمثل كل من عنصر التأثيرية والفعالية والملاءمة من الموضوعات التي اهتمت بها التداولية فهي عناصر لا يمكن الاستغناء عنها، وقد وردت هذه العناصر في سيرة ابن هشام التي تسمح بانسجام الخطاب.
- تضمنت سيرة ابن هشام أبعادا تداولية متفرعة لكثرة تنوع الحوارات فيها وقد تمثلت نظرية الاستلزام الحواري بمبادئها المختلفة التي كانت حاضرة وجلية في سيرة ابن هشام ومشتملة على العديد من المعاني والدلالات المباشرة وغير المباشرة وقد تمكنا من تطبيق ذلك، لأن هناك بعض الحوارات وجدت دون التصريح بها مما يؤدي إلى المعاني المستلزمة.
- إن ظاهرة الاستلزام الحواري لها علاقة بثنائية الحقيقة والمجاز، فما يقابل المعنى الحقيقي هو المعنى الصريح أو الحرفي وهو يمثل الطريقة المباشرة في الكلام، أما ما يقابل المعنى المجازي هو المعنى المستلزم أو الضمني الذي يمثل الطريقة غير المباشرة في التعبير، وهذا ما وجدناه في العديد من أنواع الخطابات في سيرة ابن هشام.
- إن للسياق دوراً مهماً وبارزاً في الكشف عن مقاصد المتكلمين.

قائمة المصادر والمراجع

✓ **القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم**

أولا: المعاجم

1- ابن فارس، أبي الحسين أحمد فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979.

2- ابن منظور، لسان العرب بيروت، دط، دت.

3- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

4- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسومي، بيروت، ط8، 2005.

5- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004.

ثانيا: الكتب

6- ابن هشام، السيرة النبوية، تع: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1990.

7- ابن هشام، مختصر السيرة النبوية، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2017م، مجلد2.

8- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في الأصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2004.

9- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1419.

10- أحمد المتوكل اللسانيات الوظيفية المقاربة دراسة في التنميط والتطور، دار الأمان، ط1، 2012.

11- أحمد المتوكل، المنحي الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.

12- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، دط، 2001.

13- أحمد فهد شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، بيروت، ط1، 2015.

14- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل،تر: سيف دعفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003.

15- باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، 2014.

16- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012.

17- بهاد الدين مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.

18- تفسير الطبري، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

19- الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج1، 1424.

20- جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1967.

21- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2005.

22- جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، شبكة الألوكة، ط1، 2015.

23- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار الكنوز المعرفية، عمان، ط1، 2016.

24- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار العربية، بيروت، ط1، 2010.

25- حافظ إسماعيل علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، كنوز المعرفة، عمان، دط، 2013.

26- خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

27- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزاءر، ط1، 2009.

28- رانيا عيسى، علم اللغة النصي رسائل الجاحظ نموذجا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2004.

29- رمزي منير البعلبكي، المورد الحديث قاموس ايجليزي- عربي، دار الملايين، لينان، دط، دت.

30- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،بيروت، ط2، 1987.

31- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3، 1988.

32- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998.

33- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي،العربي، المغرب، ط2، 2000.

34- عباس حشاني، الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأبي، عالم الكتب، الأردن ط1، 2014.

35- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر دط، دت.

36- عبد الله جاد الكريم، التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، دت.

37- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتجيات الخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004.

38- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، ط1، 2000.

39- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 2003.

40- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، ط1، 2011.

41- فرانسواز أرمينيكو، المقارنة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، دط، 1986.

42- فوزية عزوز، المقاربة النصية من تأصل نظري إلى إجراء تطبقي، دار كنوز معرفة، عمان، ط1، 2016.

43- محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1991.

44- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، دت.

45- محمد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في علوم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2010.

46- محمد نظيفي، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دار الكتب، المغرب، دط، 1991.

47- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002.

48- محمود طلحة، مبادئ التداولية في تحليل الخطاب الشرعي عند الأصوليين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014.

49- محمود عكاشة، النظرية البراجمانية اللساني (التداولية)" دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013.

50- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

51- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009.

52- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في اللسانيات النص وتحليل الخطاب – دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

ثالثا: المجـلات

53- خالد سهر محيي، مجلة ديالي، في مفهوم الاستلزام التخاطبي، الجامعة المستنصرية، كلية الآدب، ع71، 2016.

54- دلال وشن، مجلة مقاليد، الملامح التداولية في الموروث العربي دراسة في عينات تراثية، المركز الجامعي لميلة (الجزائر)، ع7، ديسمبر 2012.

55- عمر محمد أبو نواس، المجلة الأردنية في اللغة العربية وأدبها، علم التخاطب بين التوجيه النحوي والتداولي، ج7، ع2، 2011.

56- نعمة دهش فرحان الطائي، مجلة الملمح التداولي في النحو العربي تحليل واستنتاج، جامعة بغداد، ع8، 2013.

فهرس الموضوعات

فـــهـــــرس الموضوعات

شكر وتقديـر

مقدمة.....أ–ج

مدخل.....**4**

المعنى اللغوي للتداولية.....5

المعنى الاصطلاحي للتداولية.....7

نشأة التداولية وتطورها.....10

جهاز مفاهيمي للتداولية.....16

علاقة التداولية بالعلوم الأخرى.....22

الفصل الأول: الاستلزام الحواري في الثقافتين العربية والغربية

أولا: الاستلزام الحواري في الفكر العربي.....28

مفهوم الاستلزام.....28

أ– عند القدامى.....28

ب– عند المحدثين.....33

ثانيا: الاستلزام الحواري في الفكر الغربي.....37

مفهوم الاستلزام.....37

أنواع الاستلزام.....38

مبادئ محادثة.....40

خصائص الاستلزام الحواري.....47

التحاور بنية تفاعلية.....48

دينامكية الاتصال.....49

الفصل الثاني: الاستلزام الحواري في السيرة النبوية لابن هشام

التعريف بكتاب السيرة النبوية لابن هشام.....54
لمحة عن صاحب السيرة النبوية.....55
الاستلزام الحواري والخطاب.....55
الاستلزام الحواري بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم.....56
الانتقال من الحقيقة إلى المجاز.....58
مبادئ المحادثة.....60
خاتمـة.....80
قائمة المصادر والمراجع.....83
فهرس الموضوعات.....89

تم بحمد الله